السنة العشرون | العدد ١١ | تشرين الثاني | ١٩٢٢

المشرق

رسالة لاهوتيَّة تاريخيَّة على مذاهب النصارى

للشيخ عفيف بن مومل

عُني بنشرها لأول مرة وتعليق حواشيها

القس ايلياس بطارخ الرومي الملكي

توطئة

انَّ ما طرأ على علم العربيَّة في هذا الزمان من نهضة كتَّابها ونشاط أربابها وسعي الكثيرين لاقتباس أساليبها لأمرٌ يستحقّ المدح لاسيَّما ما باشرهُ بعضهم من نشر مؤلفات الاقدمين الكرام الكنسيّين والعاميّين. فان المشرق اخرج من طي خزانة المكتبة الشرقية بعض مقالات ثمينة لبولس الراهب اسقف صيدا على الملكية (1 وحضرة الخوري الفاضل قسطنطين الباشا نشر ميامر للمؤلف الرفيع الشأن ثاودورس أبي قرَّة اسقف حرَّان. وعلاوة على ذلك فان سيادة الاب غرافن في باريس (2 يجتهد في نشر مؤلفات الكتبة المسيحيين الشرقيين العربية والسريانية كما نشر سابقاً الطيب الذكر مين مجموع الآباء اليونانيين واللاتينيين. ولعله في هذا الميدان

1) وظهرت ايضاً في بيروت مقالة بولس الراهب في الفِرَق المتعارفة من النصارى في زمانه صدَّرها ناشرها بهذا العنوان: « رسالة لاهوتيَّة تاريخيَّة لبولس الراهب اسقف صيدا على الملكية ». وبعد ذلك نشر المشرق الاغرّ المقالة نفسها وقد قابلنا بين الطبعتين فوجدنا طبعة المشرق اتمّ رواية الّا في مواضع يسيرة

2) R.Graffin, F.Nau: Patrologia Orientalis, *M.M.Firmin Didot 56, rue Jacob, Paris.*

حضرة الاب شابو(١ العالي الهمَّة ونحن نتمنى للجميع كل توفيق ونجاح

فاحتذاء بغيرة هولاء الإخوان أحببنا اليوم ان نُتحف قرّاء المشرق برسالة «الشيخ الرئيس الفاضل الفيلسوف والعالم المحرّر المحقق عفيف بن الشيخ المكين بن مؤمل» وقد نسخنا هذا المؤلَّف النفيس من مكتبة دير القبر المقدس في اورشليم وذلك بإذن حافظ مخطوطاتها الارشدياكونوس كلاوبا كيكيليدس الجزيل الاحترام الذي يجب لنا ان نقوم بشكره ههنا لما له علينا من الايادي البيضاء لكونه سوّغ لنا نسخ المخطوطات العربية واليونانية ورسم بعض صفحاتها عند الحاجة بالتصوير الشمسي

اما المخطوط الذي نحن بصدده فهو العدد المئة والواحد من المخطوطات العربية (٢ عددُ صفحاته ٣٨٩ وقياسها (0^m, 225×0^m, 155) وهو مجموع مقالات لاهوتيَّة وبياس دينية نخصّ بالذكر منها مؤلفات بولس الراهب اسقف صيدا وسليمان مطران غزّة وعفيف بن مؤمّل وجراسيموس رئيس دير مار سمعان العمودي الواضع كتاب الكافي في المعنى الشافي

غير ان تاريخ المخطوط لم يذكر والمُرجّح ان اوّل الكتاب (وجه ١-٨٣) وآخره (١٦٠-٣٧٥) نُسخا في الجيل السابع عشر ونصف الكتاب (١٢٥-١٣٩) نُسِخ سنة ١٧٧٥ مسيحية . على انه يصعب علينا تعريف المؤلف ولم نجد له ذكرًا في مخطوطات المكتبة الشرقية للآباء اليسوعيين الافاضل في بيروت . ولم يذكره البارون دي سلان في قائمته للمخطوطات العربية المحفوظة في المكتبة الوطنية الباريزية

وربّما عاش عفيف بن مؤمل في اواخر الجيل الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر . لأنهُ يذكر في رسالته مطران نصيبين دون تعريف آخر كأنَّ معاصريه يعرفون هذا الاسقف الشهير . ومطران نصيبين هذا ما هو الّا ايليا الثالث ابن الحديثي المعروف بابي الحليم والشهير بموضوعاته اللاهوتية والحكمية . وعاش في الجيل الثاني عشر (١١٢٨-١١٩٠) (٣ وكان عفيف من الملكيين اذ يقول في مُفتتح الفصل الثالث : « اعلم أنّا نحنُ الملكيَّة » . . . ويستبان من كلامه انه كان له إلمام بالفلسفة المعروفة بالفلسفة المدرسيّة . بيد انه اخطأ في قوله ان النفس قديمة . وتعبيرهُ عن سرّ الثالوث الاقدس يحتاج الى شروحات في بعض الأحيان كما سنبيّن ذلك فيما بعد

بسم الله الخالق الحي الناطق (f. 70ʳ)

قال الشيخ الرئيس الفاضل الفيلسوف والعالم المحرّر المحقّق عفيف ابن الشيخ المكين ابن مؤمّل رضي الله عنه

1) **Chabot : I. Guidi etc.** CORPUS SCRIPTORUM CHRISTIANORUM *ORIENTALIUM, Poussielgue, 15 rue Cassette, Paris*

2) Κατάλογος ἀραβικῶν χειρογράφων τῆς Ἱεροσολυμιτικῆς βιβλιοθήκης, ὑπὸ τοῦ Ἀρχιδ. Κλεόπα Κοικυλίδου

٣) بل الاحرى ان المؤلف يريد استقف نصيبين ايليا ابن شينا المتوفّى سنة ١٠٤٩م ويشير الى مجالسه التي نشرناها في الاعداد السابقة من المشرق ل.ش

فاتحة القول

الحمد لله الذي هدانا الى العلم بوحدانيته واطلعنا على تصوُّر وجوده وجوهريته واظهر لنا سرَّ تثليث صفاته وأقانيمه . وأخفى عن الخلق حقيقتهُ وماهيَّتهُ وخصَّنا بالدخول تحت نيره لعبادته وعبوديته . نحمده على ما أولانا من الانعام ونشكره دائمًا على ممرّ الايام

وبعد فقد امر من لا يُخالَف باِنشاء رسالةٍ مختصرة مشتملة على مذاهب النصارى وما ذهب اليه كل فريق منهم والإبانة عن الحقّ الأبلج واستواء المنهج والردّ على مخالفي الحقّ بما يسوّغه العقل السليم والنظر المستقيم . فأجبتُ الى ذلك امتثالاً لاوامره مع علمي بتقصيري واني غير كفوء لهُ اذ كانت إقامةُ البرهان العقلي على ذلك شاقةً لبُعده عن الأذهان العامية ونفور طباعهم عنه . وكان المبرهَن عليه يحتاج الى ضرب الامثلة . وليس لنا شيء من الامثلة في الخارج الّا وهو مخلوق مركّب واقلّه من المادّة والصورة . امّا جوهر الباري تعالى لهُ واقانيمهُ فبسيطة غير مخلوقة . ومن البيّن ان المخلوق لا يقاس به البسيط والّا وقع الالتباس وانما نذكر ذلك تقريبًا للاذهان . فاستعنتُ بالله الرحمن الرحيم واعتصمتُ (f. 71ᵛ) به من الشيطان الرجيم . ورتّبتُ الرسالة خمسة عشر فصلًا (كما سترى)

الفصل الاول

في الكلام على مذهب النصارى بوجهٍ كلي

اعلم ان النصارى اتّفقوا على ان الباريْ تعالى جوهرٌ واحد ذو ثلاثة اقانيم آب وابن وروح قدس . ويؤيّده العقل والنطق . امّا العقل (f. 72ʳ) فان كان عاقلًا يعلم ان الباريْ تعالى موجود لأن العالم مخلوق ولهُ مؤثّر ولا بدّ من الانتهاء الى موجود ليس له مؤثّر والّا لزم الدَّور والتسلسُل وهما مُحالان

وهذا الموجود امّا ان يكون قائمًا بنفسه وامّا الى غيره مفتقرًا . والاوّل هو الجوهر والثاني هو العرَض . والثاني باطل لانهُ يستحيل ان يكون للباريْ تعالى عرض قائم بغيره والّا لكان ممكنًا وكلُّ ممكن فهو حادث والباريْ قديم . واذا

بطل الثاني وهو العرض ثبت الاول وهو الجوهر

ثم هذا الجوهر لا كالجواهر المخلوقة البسيطة لانهُ خالقها وما كان خالقاً لها فهو غيرها والّا لزم احد الامرين امّا ان يكون الشيء فاعلاً لنفسهِ وهو باطل . وامّا ان يكون فاعلهُ وفاعلها شيئاً آخر . والكلام في الآخر كالكلام فيه ويلزم منهُ التسلسل والتسلسلُ مُحال . والفلاسفة وافقوا النصارى في ذلك وهو جعلهم الباري تعالى جوهراً . امّا أنهُ عرض فيتعالى على ذلك

وهذا الجوهر اما ان يكون حياً او غير حي . والحي اشرف من الغير حي والباري تعالى اشرف الموجودات فخصصناهُ باشرف الاقسام . ثم هذا الحي امّا يكون ناطقاً او غير ناطق . (اي النطق المتولد من العقل لا ما يعتقدهُ العامة اذ النطق اللساني مستحيل) . فحاشى ان يكون الباري غير ناطق لان الغير الناطق أبكم وحاشى (f. 72r) لجلالهِ من ذلك . وهذا الوجه في اثبات الاقانيم اجود ممّا قاله مطران نصيبين (1) فان ما قاله يستحيل . حاشى ان يكون النطق غير ناطق . ويلزم على هذا التقدير ان يكون الباري تعالى جسماً لانهُ خالق الاجسام ويستحيل ان يكون خالق الاجسام ذا جسم

واذ دلّنا البرهان على ان الباري تعالى قائم بنفسهِ حي ناطق فسمّينا ذات الباري اباً . ونطقهُ اي حكمتهُ ابناً . اي انهُ متولد من الذات كما يتولد النطق من العقل من غير انفصال لا من مباضعة وجماع كما سبق الى الاوهام العامية . وحياتهُ روح قدس . فالنطق متولد من الذات وروح القدس منبعث من الذات وسمّينا الاب والابن وروح القدس اقانيم

ومعنى الاقنوم الصفة الجوهرية التي لا يفتقر وجودها الى وجود جوهر اخر كالحيّيّة والناطقية . فانهما لا يجرّان معها شيئاً آخر بخلاف القادريّة فانها تستدعي مقدوراً عليهِ والّا لما كان قادرية اذ لا يقال قادرٌ الّا بالاضافة الى مقدور عليهِ ولا مقدور عليهِ الّا بالاضافة الى قادر . واعلم ان هذا التعريف للاقنوم أجود ما عُرِّف بهِ ولم أطّلع عليهِ الّا بعد جهد شديد والّا فبعضهم قال « يدلُّ على الوجود بالذات . الذي قوامه خاصي لهُ اعني الشخص » وهو باطل لان كل شخص مشار اليهِ متميّزٌ في الخارج

(1) راجع الحاشية على التوطئة

والاقنوم ليس كذلك. وبعضهم قال « الاقنوم يدلّ (f. 72r) على الوجود المطلق اعني الجوهر». وهذا التعريف ليس مقسوم على اقنوم (لأن الجوهر واحد والاقانيم ثلثة) فثبت ان ما ذكرناهُ في تعريف الاقنوم اولى مما عرّفوهُ به.

وانما قلنا انّ هذه صفات جوهرية . والّا لزم ان تكون صفاتٍ عرَضية وكان نطق الباريْ وحياتهُ داخلًا عليها الاعراض وهو محال . وهذه الثلاثة الاقانيم جوهرها واحد اي ذاتها. فلهذا نقول للباريْ إله واحد ونصفهُ بثلاث صفات جوهرية آب وابن وروح قدس ولا يلزم ان يكون ثلثة آلهة. وليس لنا مثال يمثّل به في الخارج لِما علمتَ فيما تقدّم بان جوهره غير جوهر المخلوقات وانما نذكر من ذلك مثال مقارنة ليتأنس بها المبتدئ. إنّا نقول عقل الانسان ونُطق الانسان وحياة الانسان ونشير الى إنسانٍ واحد لا ثلثة أناسيّ . فهذا ما تهيأ ذكره من جهة العقل

وامّا النقل فانّ الانجيل الطاهر والكتب الالهية مصحوبة[1] تذكر الصفات الثلاثة . وان الكلمة والروح كل واحد منهما إله. لكن آثرنا الاختصار هرباً من التطويل . ونحن نذكر مبدأً من ذلك لتعلم انّا لم نقتصر على العقل دون النقل ولا على النقل دون العقل . فنقول امّا الانجيل الطاهر فجاء فيه ان السيد المسيح قال لتلاميذه: «أعمدُوا الامم باسم الآب والابن والروح القدس» (متّى ٢٨ : ١٩) . وايضاً قال: «في البدء كان الكلمة والكلمة عند الله وإلهاً لم يزل الكلمة». هو في (f. 73r) (البدء) كان عند الله وخلواً منه لم يكن شيٌ مما كان من المخلوقات (يوحنا ١ : ١—٣) . وقال: «أنا والآب واحد وانا في الآب والآب فيّ» (يو ١٠ : ٣٠ و٣٨) . «ومن رآني فقد رأى الآب» (يو ١٤ : ٩) . «وليس يقدر يأتي الى الآب الّا بي» (يو ١٤ : ٦) ومن لا يؤمن بالابن ولا بالآب يؤمن. وقال ايضاً للرسل: «إقبلوا الروح القدس. وان حللتم لقوم خطاياهم فقد حُلّت» (يو ٢٠ : ٢٢) . وقال ايضاً : «من لم يولد من الماء والروح لا يدخل ملكوت السماء» (يو ٣ : ٥) . واما كتب الانبياء فقال داود النبي: «بكلمة الله خُلقت السموات والارض» (مز ٣٢ : ٦) . وقال ايضاً: «أرسلَ كلمتهُ فشفاهم ونجاهم من الهلاك» (مز ١٠٦ : ٢٠) اعني ذرّية آدم . وقال ايضاً: «لكلمة الله أمجده» (مز ٥٥ : ١١) . وقال سليمان بن داود: «من قبل ان تكون التلال كلها خلقني»

1) وجاء في المخطوط : مسحوبة

(امثال ٨: ٢٥) . وقال ايضاً: «قُل لي من صعد الى السماء ونزل . من أمسك الريح بقبضته ومن صرَّ الماء في منديل ومن اقام أقطار الارض . ما اسمه وما اسم ابنه ان كنتَ تدري» (امثال ٣٠: ٤) . وجاء في العتيقة ذكر الثالوث : «انا إله آبائك إله ابراهيم إله اسحاق إله يعقوب» (خروج ٣: ٦) . وقال داود النبي : «تُرسل روحك فيُخلقون» (مز ١٠٣: ٣٠) . وقال ايوب الصديق (٣٣: ٤) : «روحُ الله خلقني» . وقال يوحنا المعمدان : «انا اعمدكم بالماء للتوبة والذي يأتي بعدي هو قبلي يعمدكم بروح القدس والنار» (متى ٣: ١١) . وفي هذا كفاية

الفصل الثاني

في الاشكالات الواردة على هذا الكلام

(احدُها) : ان قولكُم للباري تعالى جوهرٌ باطلٌ لان الجواهر متحيّزة . فلو كان الباري تعالى جوهراً لكان القول بان الباري تعالى (f. 73ʳ) جوهر متحيّز وهو مستحيل . فالقول بانهُ جوهر باطل . (وثانيها) : انّ الجواهر متماثلة فاختصاص جوهر الباري تعالى بالالهية إن كان لفاعلٍ رجَّحه على باقي الجواهر فلا يكون إلهاً . وإن لم يكن لفاعلٍ رجَّحهُ فقد لزم الترجيح لا لمرجّحٍ وهو محال . (وثالثها) : إن الجوهر محدود لاننا نقول ان الجوهر موجود لا في موضوع . فلو كان الباري تعالى جوهراً كان محدودًا وكُنهُ حقيقة الباري تعالى لا يُحدّ . (ورابعُها) : قائلٌ يقول : الجوهر القديم اذًا ان يكون مختلفاً او غيرَ مختلف . والاوّل باطل والّا لزم ان يكون حقيقة الباري تعالى مختلفة . فاذا ثبت هذا فنقول الاقانيم الثلثة التي هي الاب والابن والروح القدس مختلفة ام لا . فان كان الاول لزم ان يكون ما هو مختلف غير مختلف . وبينهما تناقض . وان كان الثاني فمحال لان الحيثيّة غير الناطقيّة . فثبت ان الجوهر هو الموصوف وان الاقانيم هي الصفات . وحقيقة الموصوف غير حقيقة الصفة

﴿الجواب عن الاوّل﴾ : انّا لا نريد بالجوهر الجوهر المشهور بل الجوهر الذي وجودهُ من ذاتهِ . ولهذا قالت النصارى : جوهر لا كالجواهر وبهذا تندفع الاشكالات الاربعة — فان (قيل) الشكُّ بعدُ باقٍ لان قولك جوهرٌ لا كالجواهر يلزم منهُ ان يكون الباري تعالى محدودًا لان قولك جوهرٌ يشترك فيه ذات الباري

وباقي الجواهر . وقولك لا كالجواهر فصلٌ مميزٌ (f.74ᵃ) ولا معنى الحدّ عند الفلاسفة الّا هذا . (قلنا) لا شك ان قولنا كالجواهر قيد سلبي . والقيد السلبي لا يوجد في الذات فلا يلزم ما ذكرت .

﴿ والجواب على الثاني ﴾ لا نسلّم ان الجواهر متماثلة لان بعضها يدخل في مقولة الكمّ وبعضها في مقولة الكيف ونحوها . فلو كانت متماثلة لاتفقت تحت مقولة واحدة

﴿ والجواب عن الثالث ﴾ قد تقدّم وهو ان «لا» حرف سلب . والقيد السلبي لا يُوجد تميزٌ هكذا

﴿ والجواب عن الرابع ﴾ هذا الاشكال غير لازم لانا نقول ان الجوهر هو الاقانيم ولا الاقانيم هي الجوهر . وما مثل هذا الّا مثل من قال: يوحنا فيلسوف ويوحنا طبيب ويوحنا نحوي . ولا يلزم ان حقيقة حنا مختلفة لاجل اختلاف صفاته . وبتقدير تسليمه فانهُ يجوز ان يقال للشيء انهُ مختلف وانهُ غير مختلف باعتبار كما تقول «الخمر مسكر» ان اردتَ وقت شربهِ و«الخمر ليس مسكراً» اذا اردتَ بهِ كونهُ في الخابية

الفصل الثالث

فيما ذهبَ اليهِ الملكيّة

اعلم انّنا نحن الملكية نعتقد ان السيد المسيح مولود من مريم اقنوم واحد إلهي . ذو طبيعتين طبيعة الهية وطبيعة بشرية . ومشيئتين مشيئة الهية ومشيئة بشرية . وفعلين فعل الهي وفعل بشري . وانهُ حلّ بدن العذراء مَرتمريم (١ واتّخذ طبيعة ناسوتية ومشيئة ناسوتية وفعلاً (ناسوتياً) ولم يوخذ اقنوم لانهُ اتّخذ طبيعة عامة مجردة عن الاقانيم (74ᵇ) لان الطبيعة الالهية والبشرية اتّحدا باقنوم واحد . وان الابن اي الكلمة اتّحد اتحاداً ظهورياً كاتحاد النار بالحديد . فنذير البرهان على واحدٍ واحدٍ من هذه الصفات

اما الدليل على انهُ اقنوم واحد لا غير فمن وجوه كثيرة . (أحدهـا) لو لم يكن

١) اي سيدتي مريم من السريانية ܡܪܬܝ ܡܪܝܡ

السيد المسيح اقنوماً واحداً لما كان الاتحاد وقت بشارة ملاك الله مريم . والتقدير خلافهُ . (وثانيها) ان السيد المسيح قال لتلاميذه (متى ٢٨ : ١٩) : «أعمدوا جميع الامم بسم الآب والابن والروح القدس» فعلمنا من هذا الكلام ان ليس لهُ غير اقنوم واحد وانّا إن جعلنا لهُ اقنومين كما ذهب اليه مَن نذكرهُ لزم ان يكون لا ثلاثة اقانيم بل أربعة : اقنوم الآب واقنوم روح القدس واقنوما الابن فنكون مخالفين الانجيل الطاهر . (وثالثها) لو لم يكن اقنوماً واحداً وكان اقنومين لكان يكون اتحاده بطبيعةٍ مُشخَّصة . والسيد المسيح انما اتحد بطبيعة عامّة اي طبيعة الانسان مطلقاً (١ ليُخلّص جنسَ الانسان من عبودية الشيطان . ولو كان اتحاده بطبيعةٍ مُشخَّصةٍ لما خلّص الا شخصاً واحداً . والكتب الالهية قد شهدت لخلاص جنس البشر

واما الدليلُ على كونه طبيعتين فمن وجوه . (أحدها) ما يُقال الينا بالتواتُر انهُ أكل وشرب . وانه حُبل بهِ وولد وخُتن لثمانية أيام وكان جسماً ذا طولٍ وعرضٍ وعمقٍ (f. 75ᵃ) مصلوب مدفون . وهذا من لوازم الطبيعة البشرية . ثم نظرنا فوجدنا الحَبَلَ من غير مباضعة وانهُ وُلـد من غير (أن) يُدخِلَ على عُذرَةِ والدته . وانهُ تكلم في المهد في اوّل مدةٍ (٢ . وأن آياتهِ كانت تظهر على الفور وان عند صلبه اظلمت الشمس والقمر وتساقطت النجوم وتشقّقت الصخور وانفتحت القبور وقامت الموتى وانشق ستر الهيكل . ثم رأيناه يذكر من نفسه في الانجيل الطاهر تارةً انهُ انسان وتارةً انهُ إله . فعلمنا من هذا ان لهُ طبيعتين

واما الدليل على كونهِ ذا مشيئتين فانّا رأيناه قد خلّص آدم وذريّته من الموت وجعل للصِّ اليمين حظّاً معهُ وكان كل ما شاء يكون وهذا صادر على مشيئةٍ إلهية . ثم رأيناه عند الصليب (في صلاتهِ في بستان الزيتون) يقول (لوقا ٢٢ : ٤٢) : «يا أبتاه ان شئت أن تجيز عني هذه الكأس لكن لا كمشيئتي بل كمشيئتك» . ومن المعلوم ان

---

١) ليس هذا القول سديداً فان السيد المسيح لم يتحد بطبيعة عامّة لانّ الطبيعة العامّة لا وجود لها الّا نظرياً وانما إتحد بطبيعة مفردة خاصّة شبيهة بطبيعتنا ذات نفس وجسد كاملين الّا انّ تلك الطبيعة لم تتّحد باقنوم بشري بل باقنوم ابن الله ولا يمنع اتحادهُ مع طبيعة مفردة ان يخلّص جنس الانسان من عبوديّة الشيطان بفعل اقنومهِ الوحيد (المشرق)

٢) كلام السيد المسيح في المهد لم يرِدْ في الاناجيل الصادقة بل في الاناجيل المصنوعة كانجيل الطفولية وقد رواه القرآن في سورة آل عمران (المشرق)

هذا صادر من المشيئة الناسوتيَّة

وأما الدليل على كونهِ لهُ فعلان فهو انَّا رأيناه اذا أراد فعلَ ما فعلهُ من ابتهالٍ وطلبةٍ لا كما فعل باقي الانبياء. بل كان يقول للشيء. كُنْ فيكون مثل تنقية الابرص وفتح أعين العميان وانهاض المخلّعين واقامة الموتى . وكل عاقل يعلم ان هذه صادرة عن فعل الهي . ثم رأيناه يصوم ويصلّي ويأكل . فهذه افعال بشرية

فان (قيل) هذا الكلام فيه نظر من وجوه أحدهـــا كيف يجوز اتحاد القديم بالمُحدَث وكيف يجوز حلول اللاهوت بالناسوت ولو جاز ذلك لكان اللاهوت مُتحيزاً . وكان يَلزم محذورٌ آخر وهو ان الصلب والألم دخلا على اللاهوت مع الناسوت المتحد به

(والجواب) انَّا اتحاد القديم بالمُحدث جائز كما جاز حلولُ النفس الناطقة بالبدن والنفس قديمة (١ والبدن محدث . وأمَّا قول المعترض « يلزم من اتحاد اللاهوت بالناسوت تحيُّز اللاهوت » فباطل . لانهُ لا يقول ان اللاهوت اي الكلمة فارقت للوالد لها وحلَّت وانما كان حلولها ووصلها بالناسوت كما تُوصلُ النَّفس بالبدن وهي ليس في داخل البدن ولا في خارجهِ . واما قولهُ « لو شئت هذا لزم ان يكون الصلب والآلام داخلة على اللاهوت » فباطلٌ ايضاً . لان الاعراض لا تدخل ولا تؤثر الَّا فيما هو قابل للأعراض وانما القابل لها الناسوت فان الانسان تركب من نفسٍ ناطقة وجسمٍ حيواني . ثم المرض الذي ينال الجسم لا ينال النفس ولا يتادى اليه بالعكس . فكما جاز ذلك في حق النفس التي هي أقل بساطة من اللاهوت بل ليس بهما تقايس فكم بالأولى ان يكون اللاهوت

---

١) ان نفس كلّ انسان تُخلَقُ وقت تركيب الجسد وقول المؤلف ان النفس قديمة هو زعم فاسد « ذهب اليه إفلاطون الفيلسوف واوريجانس الشهير » لان النفس ليست روحاً محضاً كالملائكة بل خُلقت لتتحد بجسد ومن ثمَّ هي عاجزة عن أصدار افعال عديدة عند تجردها من الجسد فلذلك قال القديس توما الأكويني أن مفارقة النفس للجسد امر مضاد لاقتضاء طبيعتها :

Sed esse separatam a corpore est præter rationem suæ naturæ et similiter sine conversione ad phantasmata est ei præter naturam et ideo ad hoc unitur corpori, ut sic operetur secundum naturam suam. *S. Thomas* - *Sum: theol. I, q.* 89, *art. I — I q.* 118, *art.* 3. *I*[a] , *q.* 6 *art.* 4.:

فان قيل كيف يقولون: المسيح صُلب والمسيح مُركَّب من طبيعة الهية وطبيعة ناسوتية . ثم يقولون اللاهوت لا تؤثّر فيه الآلام . فان لم يكن اللاهوت صُلب لا يصحّ ان يقال المسيح صُلب بل بعضُ المسيح

والجواب (f. 76) ان الصلب والآلام نالت ناسوتَ السيّد المسيح واللاهوت مُتَّحد بهِ لم يفارقه وانما لم يؤثّر فيه لانه غير قابل ذلك

(وثانيها) ان المسيح مركب من اله وانسان فكيف جاز لكم السجود له .

(والجواب) ان الاشرف اذا اتّحد بالأدنى تغلّب الاشرف على الادنى فانك تقبّل الكتب الالهية وان ضمّنها خشب وجلد وكلام الله والتقبيل للمجموع فلا يُمتنع من تقبيله لأجل الخشب والجلد لانّ ما فيه من كلام الله شرّف المجموع

(وثالثها) : انتم قلتم ان المسيح اله تامّ وانهُ مساوٍ للآب في الجوهر ومعنى المساواة ان كلما صُدّق للآب صُدّق له والله تعالى ثلثة اقانيم فان كان المسيح إلهاً فلزم ان يكون له ثلثة اقانيم وحيث ليس له الا اقنوم واحد فلا يُدعى إلهاً . (والجواب) ان كلما هو لكل واحد من الآب والابن والروح القدس هو للآخر في اللاهوت من غير انفصال الّا في رتب نِسَبها فقط (١) . لاننا اذا قلنا ابناً او كلمةً يستحيل ان تكون بلا والدها . ثم هذه الكلمة تستحيل ان تكون صادرةً من غير حيّ وكذا اذا قلنا الاب والروح القدس . فقد ظهر مما ذكرناه ان كلما ذُكرت واحدة من هذه الصفات

---

(١) ان الاقانيم الالهية لا تفترق بعضها عن بعض الّا في النسب الاصلية وفقاً لتعليم اللاهوتيين وهذا ما يتضح جلياً من قانون الايمان المنسوب للقديس اثناسيوس : ان الاب لم يصنعهُ أحدٌ لم يُخلق ولم يُولَدْ . والابن من الاب وحده لم يُصنَعْ ولم يُخلَقْ بل وُلد . والروح القدس من الاب لم يُصنع ولم يُخلَق بل ينبثق :

Ὁ Πατὴρ ἀπ' οὐδενός ἐστι πεποιημένος, οὔτε δεδημιουργημένος, οὔτε γεγεννημένος. ὁ Υἱὸς ἀπὸ μόνου τοῦ Πατρός ἐστιν, οὐ πεποιημένος, οὐδὲ δεδημιουργημένος ἀλλὰ γεγεννημένος. τὸ Πνεῦμα τὸ ἅγιον ἀπὸ τοῦ Πατρός, οὐ πεποιημένον, ἀλλ' ἐκπορευτόν.

واعلم ان القديس اثناسيوس قال ان الابن هو من الاب وحده . لكنه لم يَقُلْ ان الروح القدس من الاب وحده بل من الاب . وهذا ردٌّ على من يعترض ان الروح القدس لا ينبثق الّا من الاب مستنداً الى هذا النصّ . فيكون برهانه كبرهان من يقول ان الايمان وحده يخلص الانسان طبقاً لقول الكتاب المقدس «من آمن يخلص» . ومن البيّن ان هذه حجةٌ باطلة لان الرسول لم يقل «الايمان وحده يخلص الانسان»

الجوهرية دلّ على الثلاثة وبه يندفع الشك . فان قال قائل أما قلتم ان الابن اي الكلمة مساوٍ للآب والروح . (والجواب) ان الفرق بين الآب والروح القدس وبين الابن في امتناع الاتحاد بين الآب والروح وغير امتناعه في الابن (f. 76v) كالفرق بين العقل المجرّد والمعقول عقلاً مجرّدًا والعاقل عقلاً مجرّدًا . وذلك بعقل الباري عزّ وجلّ . فلذلك جاز ان يتحد الابن وهو الذي منزلتهُ منزلة العقل المجرّد . فقد ظهر الفرق بين امتناع الحلول في الاب والروح وامكانهُ في الابن(١

ورابعها : المسيح اختار الصلب لم لا والاول باطل لانه قال في الصلب : « ابتاه ان شئت ان تجيز عني هذه الكاس فافعل » . فهذا دليل على انه لم يحبّ الصلب ولو صحّ ذلك لكان اليهود غير مخطئين فيما فعلوا . لانهم فعلوا ارادته . فما بالكم تنسبون اليهم قُبحَ الفعل وتُوَنّبونهم . والثاني ايضاً باطل والّا لما استحق ان يُدعى الهًا لانهُ قد فُعل بهِ ما لا يختار

(والجواب) ان للمسيح طبيعتين الهية وبشرية . فالذي لم يختر الصلب وقال : « ابتاه ان شئت تجيز عني هذه الكاس فافعل » هو الناسوت لانه قابل الفزع والتأثير . واللاهوت لم يكره ذلك لانه غير قابل الفزع ولا تغيره . فاما اليهود وان كانوا لم

---

١) هذه عبارات مبهمة مضطربة لعلَّهُ وقع في نسخها غلط وهي تقتضي شروحات لان الاب والابن والروح القدس ثلاثة اقانيم غير مختلطة بل متميزة بعضها من بعض . والاقنوم في هذا السر الفائق الادراك هو نسبةٌ جوهرية الى الاقنوم الآخر اذ انهُ تعالى جلَّ جلالُه خالٍ من الاعراض . فالنسبة الجوهرية في الاب هي انهُ يلد الابن ازليًا ولادةً روحيةً لا يدرك كنهها عقلُ الخليقة الانسانية ولا الملائكية . والنسبة الجوهرية في الابن هي انهُ مولود من الاب قبل كل الدهور . والنسبة الجوهرية في الروح القدس هي انهُ ينبثق من الاب بواسطة الابن كمن مصدر واحد

ἐκ τοῦ Πατρὸς διὰ τοῦ Υἱοῦ ἐκπορεύεται τὸ Ἅγιον Πνεῦμα ὡς ἐκ μιᾶς ἀρχῆς

فالغاية المقصودة من المؤلف ان الاب لا يختلط مع الروح القدس بل يمتاز عنهُ اعتبارًا لاقنومه لكن الابن يتحد مع الاب كاتحاد المعقول مع العقل وان كان متحدًا بالطبيعة الالهية مع الاب كالروح القدس فهو يمتاز عنهُ اعتبارًا لاقنومه بيدَ ان الثلاثة الاقانيم موجودة بعضها في البعض فالابُ موجودٌ في الابن والابنُ في الآب وكلاهما في الروح القدس وكذلك الروح القدس موجود في الاب والابن هذا ما يسميه آباء الكنيسة اليونانيون Περιχώρησις وما يعبّر عنهُ آباء الكنيسة اللاتينيون بلفظة Circuminsessio

يفعلوا ما كرهة لكنهم لم يقصدوا به خيراً بل شراً . والخير انما كان بطريق العرض . ألا ترى انك لو أعطيت لبعض اخوتك سماً قاتلاً وايقنت بتلفه جزماً واعقبهُ نفع عظيم ثم علم انَّ غرضك كان تلفهُ أترى تكون عنده مخطئاً أم لا . فكما هو جوابه في هذا المقام هو (f. 77^r) جواب النصارى

(وخامسها) انتم قلتم ان الكلمة انما اتحدت بجسد المسيح ليُرى ويخاطب للفوائد المشهورة لان اللاهوت لم يُرَ كما أتى به الكتاب بعد صعوده الى السماء . أمّا ان يكون صعد اللاهوت فقط ولا يُقال ان المسيح صعد الى السماء بلاهوته لان المسيح عبارة عن اللاهوت والناسوت كما تقدم . وأمّا ان يكون صعد الناسوت فقط وهو خلاف ما تعتقده النصارى . وان كان صعد اللاهوت بالناسوت فما الفائدة بصعود الناسوت لان الحاجة الداعية هي مخاطبة الناس . فقد ارتفعت مع ان الانجيل الطاهر يقول : « ما صعد الى السماء الا الذي نزل من السماء »

(والجواب) الصاعد الى السماء الهٌ بالناسوت وليس فيه تناقض للانجيل المقدس . لان الكتب الالهية أخبرت ان ملاك الرب كان يأتي الى مريم من حين البشارة في كل يوم بغذاء من السماء . فكان تكوينه واغتذاوءُهُ في جوف امه من الغذاء الآتي مع ملاك الله من السماء . فيكون ناسوتهُ ايضاً من السماء(١) . (والامر) جيد لا تناقض (فيه) واما قول المعترض ان الحاجة الى ذلك قد ارتفعت لان السيد المسيح لا بدَّ ان ياتي في الدهر العتيد ولا ياتي الاّ متجسداً والامم تنظر واذا عُلم ان لا بدَّ له من جسد يحل فيه فبالاجماع ان هذا الجسد أولى بالحلول لانه افضل من جميع الاجساد

الفصل الرابع
فيما ذهب اليه النساطرة والكلام معهم

قالوا ان السيد المسيح اقنومان اقنوم الهيّ واقنوم بشريّ (f. 77^v) وطبيعتان

١) هذه الاقوال لا اصل لها في الكتب الالهية القانونية الموحاة من الله بل وردت في المؤلفات الغير الشرعيَّة (Apocryphes) . التي تنكر الكنيسة المقدَّسة صحة نسبتها للرسل الاطهار او للآباء القديسين لانها مُزوَّرة والكلام في الآية المذكورة عن الطبيعة الالهيَّة لا عن البشريَّة

طبيعة الهية وطبيعة بشرية ومشيئة واحدة الهية وفعل واحد الهي وان السيدة مريم لم تلد الهاً بل انساناً وان اتحاد اللاهوت بالناسوت اتحاد مجاورة كمجاورة الزيت والماء في الاناء وان المسيح اله تامّ وانسان تامّ . وهذا المذهب فاسد من وجوه (احدها) قولهم ان المسيح اقنومان وهذا باطل لان الابن لم يتّخذ من مريم اقنوماً ولم يأخذ طبيعة خاصة كما ذكرنا بل طبيعة عامة ليخلص الجنس العام (١) . وايضاً فيه تناقض ما للانجيل الطاهر وفساد نظام للتثليث اذ يقول : « عمدوهم بسم الآب والابن والروح القدس » . فيلزم على زعمه ان للابن اقنومين وللاب اقنوماً وللروح القدس اقنوماً فتكون اربعة لا ثلاثة

(وثانيها) قوله بمشيئة واحدة الهية يلزم ان قوله تعالى على الصليب (٢) : «ابتاه ان شئت ان تجيز عني هذه الكاس فافعل لكن لا كمشيئتي بل كمشيئتك» . وكرهه للصليب وفزعُهُ منه ومن اليهود عائدٌ الى المشيئة الالهية وهذا فساد وغير خفي عن من لهُ عقل . ومع هذا فهو مناقض لمذهبه ايضاً لانه يرى ان المسيح اله تامّ وانسان تام . والانسان التام لا يكون بلا مشيئة

(وثالثها) قوله بفعل واحد الهي يلزم ان يكون اكله وشربه وصلاتهُ وفزعهُ وموتهُ على الصليب عائد الى الفعل الالهي ويتعالى عن ذلك

(ورابعها) (f.78ᵛ) قوله ان السيدة مريم لم تلد الهاً بل انساناً مخالف لما قالتهُ الآباء الثلثمائة وثمانية عشر «وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد الذي من اجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء» وهو يعتقد الامانة وانّما كفر هذا الرجل وذهب الى المذهب الخسيف على ما لاح لظني . إمّا قياماً لهواه والتزاماً لما تفوّه به وأمّا ان حواسهُ عميت عن ادراك الصواب فكفر ولم يشعر

(وخامسها) انهُ يرى ان المسيح اتحد اتحادَ مجاورة كاتحاد الزيت والماء في الاناء وهذا في نفس الامر ليس اتحاداً بل حيزاً ومكاناً

---

١) بل اخذ طبيعة خاصةً كطبيعتنا مؤلفة من نفس وجسد وانما قوام هذه الطبيعة باقنوم لاهوت المسيح (راجع ما قيل سابقاً ص ٩١٨)

٢) ليس على الصليب بل في بستان الزيتون

الفصل الخامس

فيما ذهبت اليه اليعاقبة

اعتقدت اليعاقبة ان المسيح اقنوم واحد وطبيعة واحدة ومشيئة واحدة وفعل واحد وان المسيح اتحد بان امتزج اللاهوت بالناسوت فصارا شيئاً واحداً

وهذا كلام فاسد من وجوه : (احدها) قولهم اقنوم واحد وطبيعة واحدة ومشيئة واحدة وفعل واحد نقول لهم : ما هو مرادكم بالطبيعة والاقنوم والمشيئة والفعل أهو الالهي او الانساني والثاني باطل والا فانا لنستحق العبادة واذا بطل الثاني ثبت الاول . ثم نقول: أتوافقونا على انّ المسيح قبل الاتحاد طبيعة ناسوتية ام لا . فان كان الثاني فتخالفون الآباء الثلاثمائة والثمانية عشر الذين قالوا عنه انه من اجلنا (f.78ᵛ) نزل من السماء وتجسّد من روح القدس ومن مريم العذراء . وان كان الاول فلا بُـدّ بعد الاتحاد ان يبقى من الطبيعة البشرية شيء . ويلزمه القول بها . ثم في قولهم تناقض للانجيل الطاهر بقوله (يو ٢٠ : ١٧) اني صاعد الى أبي وابيكم والهي والاهكم » وقوله (متى ٢٧ : ٤٦) : « الهي لماذا تركتني » . وايضاً يلزم منهُ ان كل الاعراض التي نالت المسيح واقعة باللاهوت لان ليس له طبيعة ناسوتية بل طبيعة لاهوتية . ويناقض قول داود النبي اذ يقول (مز ١٦ : ١٢) : « واحدةً نطق الرب وهاتان اثنتان سُمعت » . اي انّ اقنومهُ الواحد له طبيعتان وهما طبيعة الهيّة نطق بها الرب وطبيعة ناسوتية كذلك له مشيئتان وفعلان . ويلزمه في المشيئة والفعل ما ألزمنا النساطرة فلا حاجة لذكره اذ كان الغرض بهذه الرسالة الاختصار وتقليل الكلام ما أمكن . (وثانيها) ان هذا الاتحاد اعني الامتزاجي لا يصدق الا في حق الكائنَيْن كالخل والعسل وأما في الله تعالى فلا . ويلزمهم ان يكون المسيح لا الهاً ولا انساناً لأن المتكون من شيئين ليس هو احد الشيئين فان المتكوّن من الخل والعسل لا يطلق عليه بعد التركيب انهُ خل ولا انهُ سكّر فيكون للمسيح (حسب) زعمهم طبيعة ثالثة

الفصل السادس

فيما ذهب اليه المارون والردّ عليهم(١

اعتقد المارون ان للمسيح اقنوماً واحداً (f. 79r) وطبيعتين طبيعةً إلهيّة وطبيعةً بشرية ومشيئةً واحدة وفعلاً واحداً . وهو فاسد وكان يلزم ان يقولوا بطبيعة واحدة ويلزمهم ما لزم اليعاقبة والنساطرة في تفهيم المشيئة والفعل البشريّين

الفصل السابع

فيما ذهبت اليه الارمن

اعتقدت الارمن ان طبيعةً واحدة وناسوته استحال الى لاهوته وان جسم السيد المسيح قديم لا يقبل ألماً ولا تغيراً . وهذا فاسد من وجهين (احدهما) قولهم : « استحال ناسوته الى لاهوته » محالٌ ويلزم ان يكون الصلب والآلام داخل على اللاهوت . (وثانيها) ان فيه انكاراً لصلبه بقولهم « لم يكن جسمه قابل التأثير » والصلب لا يلزم الّا الجسم الناسوتي لا اللاهوت وسنبيّن فساده في اثباتنا صلبهُ

الفصل الثامن

فيما ذهب اليه اريوس والردّ عليه

هو اعتقد ان الابن مخلوق محدث ثم فوّض اليه الآب الالوهيّة فخلق به السموات مع الارض وما بينهما . وانه اخذ من مريم جسداً ليس له نفس وهذا رأي فاسد . وبيانه ان الابن لو كان مخلوقاً وهو نطق الباري تعالى لزم ان يكون الباري تعالى غير ناطق ثم صار ناطقاً وكان قابل التغيير والانجيل الطاهر يكذبه بقوله : « في البدء كان الكلمة » . وايضاً لو كان النطق مخلوقاً لكان نُطق الباري تعالى له ابتداء وما كان له ابتداء له انتهاء ويلزمهُ ان يكون نطق الباري مضمحلاً واثراً (f. 79v)

١) قد اطلع الخوري الرحات بطران يوسف دريان على هذا الفصل وفنّده بقوله ان قول المارونيّة بمشيئة واحدة اراداها به عدم التناقض بين مشيئتي السيد المسيح (المشرق)

اعاذنا الله من هذا الاعتقاد الردي . واماّ قوله انهُ اخذ من مريم جسماً غير متنفس وحلّ فيه مقام النفس فباطل والاّ لزم ان يكون المسيح غير تام في ناسوته . والتقدير خلافه

الفصل التاسع

فيما ذهب اليهِ مكدونيوس والردّ عليه

هو اعتقد ان الابن وروح القدس مخلوقان وان الرب لم يتخذ عقلاً انسانياً لكن نفساً فقط . وهذا الكلام ردي جداً . اماّ قوله «ان الابن مخلوق» . فقد تقدّم بطلانه في الردّ على اريوس . واما روح القدس فلو كان مخلوقاً لكان البارى تعالى غير حيّ . ثم صار حياً وغيرَ ميت . وحاشى لعلوه من هـذا الكلام الدني . وفيه تناقض للانجيل المقدس اذ قال للتلاميذ (لوقا ٢٠ : ٢٥) : « اقبلوا الروح القدس . ان غفرتم لقوم خطاياهم فقد غُفرت لهم وان امسكتم على احد خطاياه فقد امسكت عليه » ومن كان بهذه المثابة ليس مخلوقاً . واماّ قوله «ان الرب اخذ جسماً بلا عقل» فمذهب فاسد لان جسد المسيح تامّ والجسد التامّ لا يكون بلا عقل وان كانت اجسامنا التي لا تُقاس الى جسد المسيح تُنسب ان لها عقلاً فكم بالحري ان يكون جسد المسيح اذ هو اشرفُ الاجسام واجلّها واتمها

الفصل العاشر

فيما ذهب اليهِ اوغاليوس(١ صاحب منبج والرد عليه

اعتقد هو ان جسد المسيح خيال لا حقيقة له وهذا مخالف للانجيل الطاهر اذ قال (يوحنا ١ : ١٤) : «والكلمة صار لحماً وحلّ فينا» . وفيه انكار موته . ومن يقرأ اثباتنا صلبه يعرف فساد هذا الرأي

الفصل الحادي عشر

في مذهب بطرس وايلاريوس(٢

اعتقدا ان اللاهوت تعالى عن قول الكافرين صلب واُضجع وهذا ظاهر الفساد

---

١) هذا الاسم مصحَّف لم يُعرف مبتدع بهذا الاسم

٢) ايلاريوس والارجح أيُلوروس (معناها القط مشتقة من اليونانية Αἴλουρος) وكان اسمهُ تيموثاوس ايلوروس . عاش سنة ٤٥٧ . اماّ بطرس فلعلّهُ اراد به بطرس القصّار المبتدع

لا يحتاج بطلانه الى دليل

الفصل الثاني عشر

فيما ذهب اليه بولس المصيصي (١

قال ان المسيح انسانٌ محض وهذا فاسد وسيأتي بيان فساده في اثبات الهيّة السيد المسيح

الفصل الثالث عشر

في ان السيد المسيح اله

فنقول ان السيد المسيح اله لا ينكره من له ذوق . وذلك انهُ تكلم في المهد في مدة لم تكن في قوة احد من الانبياء ان يتكلم فيها اصلاً (٢ وذلك انهُ سُمي حكمة الله ونطقة . ولم يشهد كتاب ولا نقل الينا ان احداً من الانبياء سُمي بذلك . وكلمة الله اي جوهر مساو له في الجوهرية قديم خالق . وايضاً انه لم يُخلق من الجماع ولم يعرف الجماع . وآياته كانت تأتي على الفور ومعجزاته قويّة من غير طلب ولا تضرّع كباقي الانبياء بل كان يقول للشيء «كن» فيكون . وانه لم يعرف الخطيئة لا قولاً ولا فكراً ولم يكن احد من الانبياء بهذه المثابة . وايضاً انه صعد الى السماء وواحد من الانبياء لم يصعد . وايضاً قام من الموت بعد ثلاثة ايام وواحد من الانبياء لم يقم من الموت . ولما ثبت بهذه الحجج التي لا يرتاب فيها عاقل انه اعظم من الانبياء كثيراً واعظم فضلاً فليس بعد درجة النبوة الا الالهيّة مع ان الانبياء التي قد حصلت الثانية (f. 80v) بهم شهدوا بما قلناه على ما سنبينه . فثبت انهُ اله

وللقائل يقول ان بعض هذه المعجزات حصلت للانبياء . (قلنا) انّ كل واحد منهم اختصّ بمعجزة او معجزتين من هذه المعجزات لكن مجموعها ما اجتمع فيه لواحد منهم ولنذكر بنداً من الانجيل الطاهر ومن كتب الانبياء ليقوى به احتجاجنا على اثبات

---

١) اطلب ترجمته في المشرق ، [١٨٨٠] : ٩٩١–٩٩٥

٢) سبق القول ان كلام السيد المسيح في المهد منقول من روايات مخترعة

الالهية. امّا الانجيل الطاهر فقوله (يوحنّا ١٤: ٩—١٠): «انا في الآب والاب فيّ. ومَن رآني فقد رأى الآب» وايضاً (يوحنّا ١٠: ٣٠) «انا والآب واحدٌ» ولما قالت اليهود: انت قلت انك ابن الله ما أنكر ذلك وقال قيافا (متى ٢٦: ٦٤): «انت قلت». ولما قال له بطرس (متى ١٦: ١٦—١٧): انت ابن الله ما انكر ذلك عليه بل مدحه وقال: «ان هذا اعلان من الله». وامّا الانبياء فقال داوود النبي (مز ٨٦: ٥) «رجل اتّخذ صهيون امّاً والرجل وُلد فيها وهو العلي الذي أسّسها». وقال (اشعيا ٧: ١٤): «ان العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعى اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا» وقال (اشعيا ٢: ٣): «ان من صهيون يخرج الناموس وكلمة الله من اورشليم». وفي هذا الكتاب كفاية لمن اراد الاختصار وكان له انصاف

الفصل الرابع عشر

في انه صُلب تحقيقاً

امّا صلبه فلا شك فيه لانه نُقل بالتواتر ونَقْلُ التواتر حجة والانجيل وكُتُب الانبياء شهدت بذلك. اما الانجيل فقال ان السيد المسيح قال لتلاميذه (٢٦: ٤٥): «ان ابن البشر سيُسلم الى ناس خطأة ويُصلب» وتقدمهم (f. 81) بذلك. واما الانبياء فقال داوود النبي (مز ٢١: ١٧): «ثقبوا يدي ورجلي واحصوا كل عظامي وعلى لباسي اقترعوا». وايضاً يقول (٦٨: ٢٢): «جعلوا في طعامي مرارة وفي عطشي سقوني خلاً». وقال (زكريا ١٢: ١٠): «سينظرون الى مَن طعنوه» وقال آخر (مز ١٠٦: ١٦): «كسر ابواباً واقفال حديد حطمها واخرجهم من الظلمة وظلال الموت» وقال آخر (اشعيا ٥٠: ٦): «اعطيت خدي للطم وظهري للجلد» وقال زكريا النبي[١]: «تعالوا ننشد بالخشبة للشريف ست ساعات وللذي لا يجب ان يتعرّ يتعرّاي بالناسوت ويقطر من اللحم دم وماء». وقال (اشعيا ٥٣: ٥): «هو تالم من اجلنا»

الفصل الخامس عشر

في قيامته وصعوده الى السماء

كان قيامه وصعوده الى السماء عياناً لا يحتاج الى برهان عقلي. ولو لم يقم ويصعد

١) هذه الآية ليست في نبوّة زكريا

الى السماء. لما صح قول عزرا النبي(١ : «متى يقوم وفي الاصوات تظهر الحياة ومن الارض الى السماء يصعد وعن ميامن العلي يقيناً يوجد. لانه كان من قبل القبل ولده» وقال يوئيل النبي(٢ : «تعالوا نمضي الى الرب الذي ضربنا وهو يشفينا. وفي اليوم الثالث يقوم ونحيا معه» وقال داود النبي (مز ٢٣ : ٧) : «ارتفعي ايتها الابواب الدهرية ليدخل ملك المجد» وقال(مز ٦٧ : ٢) : «يقوم الله وتتبدد جميع اعدائه» وقال (مز ٤٣ : ٢٦) : «قم يا رب وخلصنا» وقال : «قم يا رب ولا تنم»

واذ قد اثبتنا بما وعدنا من انبيائه ببراهين عقلية واجوبة منطقية فتمّت الرسالة بعون الله وحمد ذي الجلالة ونسأل (f. 81^v) قارئها ان يتجاوز عما يجده من ضعف العبارة وعدم النظام والتقصير في الكلام والحمد لله ذي الكمال والتمام والسبح لله دائماً : تمّت الفصول الخمسة عشر والحمد لله على ما انعم به

اللهم بشفاعة قديسيك وشفاعة مريم والدتك اغفر واصفح واترك واعفُ عن مآثم وهفوات الناسخ المسكين وخطايا والديه آمين

اثر جديد لقدماء النصارى في الصين

نبذة تاريخيّة للاب لويس شيخو اليسوعي

كتبنا سابقاً فصولاً طويلة عن الصين واحوالها الدينيّة والمدنيّة (راجع المشرق ٣ [١٩٠٠] : ٧٤٣ و٨١٥) وذكرنا خصوصاً ما ينوط بتاريخ النصرانيّة فيها (المشرق ١٣ [١٩١٠] : ٨٠٠–٨٠٣ و ١٦ [١٩١٣] : ٢٦١–٢٦٨)

١ اقدم الآثار النصرانيّة في الصين

فقد اثبتنا هناك شواهد راقية الى القرن الرابع والخامس للميلاد تصرّح ببلوغ

(١) ليس هذا في سفري عزرا القانونيَّين وقد ورد في جملة اسفاره المصنوعة (المشرق)

(٢) ليس هذا من نبوّة يوئيل بل من نبوّة هوشع (٦ : ١–٢)

ايمان المسيح الى جهات الصين . فانّ في تقليد الكلدان انّ القديس توما الرسول بعد تبشيره بالمسيح ابحر الى الصين ونشر هناك تعاليم سيّده ثمّ عاد الى الهند وفيها استشهد . وقد دوّنوا ذلك في كتبهم الطقسيَّة الراقية الى ما وراء القرن الرابع للميلاد جاء في كتاب فرائضهم الكهنوتيَّة (Bedjan: *Breu. Chald.* III, 476) : « على يد مار توما بطل طغيان الشرك في الهند . وكذلك بين اهل الصين والقوشيين الذين ارتدّوا الى الايمان واقتبلوا المعموديَّة سطعت بواسطته اشعَّة الايمان في الهند وارتفعت الصين الى ملكوت المجد » وهذا نصّهُ بالحرف :

ܒܝܕ ܡܪܝ ܬܐܘܡܐ ܒܛܠܬ ܛܥܝܘܬܐ ܕܦܬܟܪܘܬܐ ܡܢ ܗܢܕܘܝܐ.
ܒܝܕ ܡܪܝ ܬܐܘܡܐ ܐܦ ܨܝܢܝܐ ܥܡ ܟܘܫܝܐ ܗܦܟܘ ܠܫܪܪܐ ܒܝܕ
ܡܪܝ ܬܐܘܡܐ ܫܩܠܘ ܙܪܐ ܕܡܥܡܘܕܝܘܬܐ ܘܗܘܘ ܒܢܝܐ...
ܒܝܕ ܡܪܝ ܬܐܘܡܐ ܕܢܚܘ ܙܠܝܩܐ ܕܡܠܦܢ ܚܝܐ ܒܟܠܗ ܗܢܕܘ
ܒܝܕ ܡܪܝ ܬܐܘܡܐ ܦܪܚܘ ܘܣܠܩܘ ܠܡܠܟܘܬܐ ܕܪܘܡܐ ܒܗ ܨܝܢܝܐ

وقد ذكر ارنوبيوس (١) من كتبة القرن الثالث للمسيح اهلَ الهند والصين في جملة الامم التي نفذت اليها الدعوة الانجيليَّة وهو يدعوهمْ باسم لاتيني عُرفوا بهِ وهو السير (Seræ) ومنهُ اشتقُّوا اسم الحرير (sera) لمزاولتهم تربيتهُ دون غيرهم . واليهم اشار القديس يوحنا فم الذهب بقولهِ في شرحه على رسالة القديس بولس الاولى الى اهل كورنتس « انَّ الشعوب التي ما وراء الهند عند الاوقيانوس تنصَّرت » واصرحُ منهُ قول تاودوريطس في القرن الخامس حيث ذكر بين الامم المتنصرة الساجدة للمصلوب المقتنعة بصحَّة دينهِ بقوَّة البرهان « اهل الهند والحبش والعجم والصين (٢) » ولا عجبَ انَّ بشارة الخلاص بلغت الى الشرق الاقصى وكانت مواصلات العالم

(١) وهذا نصّهُ بالحرف Enumerari enim possunt ... quæ in India gesta sunt apud Seras, Persas et Medas ... non distulerunt... veritati coalescere christianæ (*Arnobius adv. Gentes*, II, 12, Migne PP. LL. V, col. 828)

(٢) قال ما حرفهُ في كتابهِ «Piscatores nostri et publicani . . . . non solum Romanos. . .sed. . et Indos et Aethiopes et Persas et Seras... induxerunt ut Crucifixi leges acciperent» (*Graec. affect. curatio*, Migne P.G.,83,col 1037-8)

الروماني مع تلك الانحاء. قد توفّرت سواء كان من جهات الهند والهند الصينيّة ام من جهات المغول والتتار فانّ القوافل كانت تجري بين تلك البلاد مع بُعد حدودها. وكان الصينيّون يأتون كلّ سنة الى الرّها ليحضروا سوقها الشهيرة وينقلوا اليها محصولات اقطارهم فيستبدلونها بسلع كانوا هم اليها في حاجة

وكان اهل الهند يتردّدون الى الصين ويعاملون اهلها معاملات شتّى تجاريّة وصناعيّة ودينيّة. ففي القرون الاولى من النصرانيّة دخلت الديانة البوذيّة الى الصين وكان قوم من النصارى يرافقون دُعاة البوذيّة في رحلهم الى التُبّت والى تركستان والى الصين وكان بين النصارى دعاة المانويين. وفي الاكتشافات الحديثة التي وقف عليها قبل عشرين سنة الاوربيّون الرحّالون الى تلك الاصقاع وجدوا عدّة آثار كتابيّة كان بينها للمانويين ولقدماء النصارى قسمٌ وافر. وبه تأكّدوا انّ كثيراً من العادات دخلت في بلاد تُبّت وانحاء التتر اصلها من نصارى قدماء رحلوا الى تلك البلاد في القرون الاولى للنصرانيّة

وما لا شبهة فيه انّ نصارى الكلدان من البدعة النسطوريّة منذ القرن السابع للميلاد توغّلوا في انحاء المغول وبلغوا الى شمالي الصين فبشّروا بين اهلها الدعوة النصرانيّة في ايام دولة تانغ الشهيرة بفتوحاتها وعزّها وشيّدوا الكنائس وردّوا كثيرين من الصينيين الى الدين المسيحيّ. وكان لهم مطران يرسله اليهم جاثليق المدائن. وقد ورد ذكر هؤلاء النصارى في تواريخ السريان واشار اليهم الرحّالة مركو باولو (Marco Paolo) في سفره الى الصين في اواسط القرن الثالث عشر.

وما رويناه سابقاً بعثة الرهبان الفرنسيسكان ثمّ الدومنيكان الى مملكة ابن السماء في ايام الدولة التتريّة «يُنغ» فنجحت بعض النجاح مدّة نحو مئة سنة الى ان تمكّن الاب اليسوعي متّى ريتشي بعد التأيا والتي فتح تلك البلاد للنصرانيّة سنة ١٥٨١ اطلب ترجمته في المشرق (١٣ [١٩١٠] : ٨٠١–٨١٤ و ٩١٥–٩٢٢)

٢ اثر سي نغان فو وصليه

على ان اليسوعيّين لمّا دخلوا الى الصين واخذوا يدعون اهلها الى ديانة المسيح وجدوا كثيرين من اعيانهم مع اقرارهم بفضلها لا يذعنون الى تعاليمها محتجّين بانها

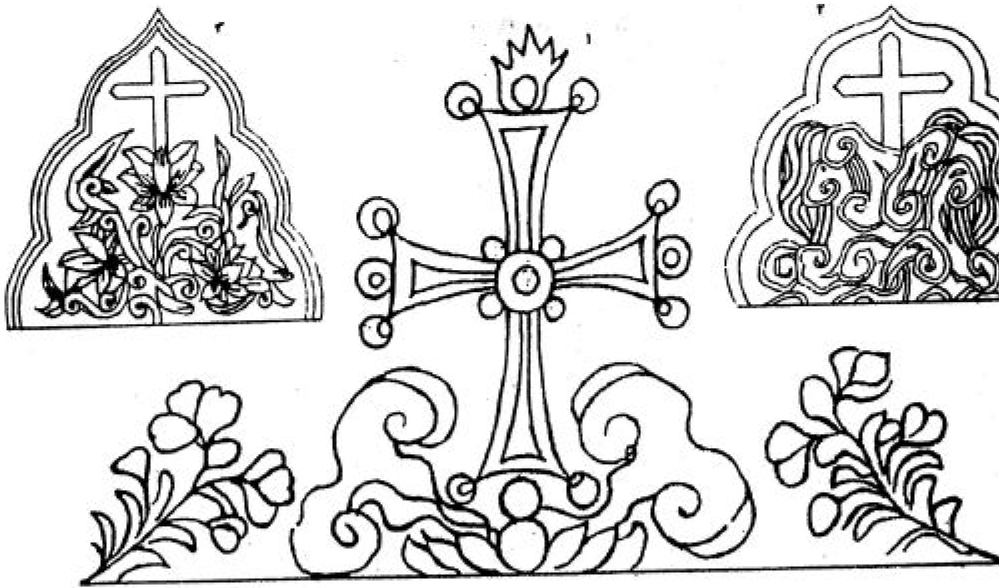
ديانة جديدة لم يعرفها اجدادهم فكان المرسلون يبحثون في تآليف قدماء الصينيين لعلّهم يصيبون فيها آثاراً للرسالات السابقة عهدهم فيقنعوهم بتقدمها وانتشاره بين اجدادهم فكاد يخيب رجاؤهم من وجودها حتى احظاهم الله بمتغاهم سنة ١٦٢٥ وذلك انّ عمَلة من الصينيين اذ كانوا يحفرون لوضع اساس بناء جديد قريباً من مدينة «سي نغان فو» في معاملة «كن سي» في شهر شباط من السنة المذكورة واذا بصحيفة كبيرة كان في اعلاها صليب وتحت الصليب كتابة صينيَّة بحرف كبير ثمّ كتابة ثانية بحرف اصغر ومضمون الكتابة خلاصة العقائد النصرانيَّة وتاريخها وعلى طرفي الحجر وبين حروفها الصينيَّة كتابة أخرى بالسريانيَّة بالحرف السطرنجيلي يصرّح فيها كاتبها انّ في السنة ٦٣٥ مسيحيَّة دخل الصين المدعو اولوبن مع عدَّة كهنة في عدد سبعين اورد هناك اسماءهم وأنهم نشروا الدين المسيحي الى عهد إقامة تلك الصحيفة سنة ٧٨١ م اعني مدَّة نحو ١٥٠ سنة

وما شاع خبر هذا الاكتشاف حتى بلغ مسامع ملك الصين واعيانها وأسرع علماؤهم الى نظرها وشرح مضامينها . ولم يتَّضح لهم معناها حتى اتى اليسوعيُّون المرسلون فدرسوها مع تلامذتهم المتنصّرين من اهل الصين درساً مدقّقاً فكشفوا كلّ اسرارها واتخذوا منها رسوماً عديدة نشروها بالطبع واذاعوا الالوف المؤلَّفة منها . فكان اكتشافها اعظم مساعد لنشر الديانة المسيحيَّة في انحاء الصين حتّى انّ عدد المتنصّرين الذي كان نحو خمسة آلاف بلغ سنتين بعد اكتشاف اثر سي نغان فو ١٣،٠٠٠ ثمّ بلغ سنة ١٦٣٦ ٤٠،٠٠٠ وفي السنة ١٦٥١ ١٥٠،٠٠٠ كانوا منبثّين في ثلاث عشرة معاملة من معاملات الصين . وكان عدد المرسلين اليسوعيين لا يتجاوز ثمانية عشر

وقد بقيت تلك الصفيحة الى يومنا كشاهد يستند اليه المرسلون ليقنعوا الوثنيين في الصين على قِدَم النصرانيَّة في بلادهم وتأثير تعاليمها في اجدادهم

٣ صلبان أخرى مكتشفة في الصين

وليس صليب سي نغان فو الاثر الوحيد من جنسه فانّ الله اراد ان يقوّي المؤمنين باكتشاف صلبان أخرى في بلادهم راقية الى الاعصار السابقة . فمنها صليب وُجد سنة ١٦١٩ في معاملة فوكيان قبل اثر سي نغان فو بستّ سنين الّا ان اكتشافه



ثلثة صلبان قديمة مكتشفة في انحاء الصين

صليب سي نان فو الراقي الى القرن الثامن للمسيح المكتشف سنة ١٦٢٥ — ٢-٣ صليبان آخران آكتشفا سنة ١٦٣٥ في مقاطعة فوكيان

لم يؤثر في الصينيين وذلك لخلوّه من كتابة تفسّر رموزه . والمرجح انّ الصليب المذكور اقامهُ المرسلون الفرنسيسيّون في زمن رسالتهم في الصين في القرن الرابع عشر وهو مربّع الشكل اطرافهُ مثلّثة مع تقعير خفيف وهو قائم على قاعدة منقوشة بزهرد

ولما كانت السنة ١٦٣٨ ثلاث عشرة سنة بعد صفيحة سي نغانفو وجد الصينيّون في معاملة فوكيان المذكورة صليبين آخرين من عهد البعثة الفرنسيسيّة وقفوا على الاوّل في ١ نيسان سنة ١٦٣٨ في يوم خميس العهد بين اخربة احد معابدهم القديمة المشيّد سنة ٧١٨ م واكتشفوا الثاني في ٧ من الشهر يوم الاربعاء بعد عيد الفصح من السنة خارجاً عن المدينة . وقد اثبتنا رسمها مع صورة الصليب الذي يعلو كتابة سي نغان فو

فكانت هذه الاكتشافات المتوالية مدعاةً لتنبيه افكار النصارى لمراجعة اخبار الصين القديمة لعلّهم يجدون فيها آثاراً كتابيّة من النصرانيّة فكلّل النجاح اعلهم فوجدوا في جملة مرويّات المؤرخين الاقدمين اشارات صريحة الى دُعاة مختلفين قدموا في عهد سلالات ملوكهم القدماء الى الصين فبشّروا بدين يخالف دينهم عرفوا من وصفهِ انهُ الدين المسيحي بلا مراء . ولا يسعنا هنا ان نعدّد شيئاً من تلك الكتابات التي نشرها الابوان اليسوعيّان المرسلان في الصين لويس غليار (L. Gaillard) وهنري هفره (H. Havret) في مجموعة عليّة تُطبع في مطبعتهم في شنغ هاي تحت اسم متفرّقات صينيّة (Variétés Sinologiques)

٣ الاثر الجديد المكتشف حديثاً

ورد في النشرة الكاثوليكيّة الفرنسويّة التي ينشرها في باكين حضرة الآباء المرسلين اللعازريين (١ في عددها الصادر في آب ١٩٢٢ (ص ٢٩١-٢٩٧) انّ الانكليزي مستر جونستون (M. Johnston) مهذّب سوانتنغ ابن امبراطور الصين بينا كان يطوف سائحاً في الروابي والاودية القفرة الواقعة على مسافة مئة لِي (اي نحو ٦٠ كيلومتراً) من باكين واذا بمعبد وثني قديم للبوذيين مهمل ومتداعي الجدران يحرسهُ احد اهل المدينة المجاورة مع ثلثة كلاب مضراة . واسم المعبد المذكور بالصينيّة « معبد الصليب » فحرّك هذا الاسم في قلب السائح الرغبة في زيارته فدخلهُ

1) Le Bulletin Catholique de Pékin, *Août*, 1922, p 291-297

ووجد بين تصاويره ورموزه الوثنيَّة نصباً من الرخام الابيض مشيَّدًا على طرف المعبد الايمن طولهُ ٦٨ سنتمترًا في عرض ٥٨ س عليهِ نقوش مختلفة وبازائهِ من جهة الشمال نصبٌ ثانٍ يمثل صليباً مربَّعاً من الشكل المعروف بصليب مالطة متساوي الاطراف طول كل عارضة ١٠ سنتمترًا وحول مركز الصليب شبه الاكليل وفي زوايا الصليب اربعة الفاظ من لغة مجهولة · وهناك ايضاً صفيحتان عليهما كتابات صينيَّة طويلة ورد في احداها ذكر هذا الصليب يقال فيها انَّ احد الصينيين المختص بخدمة دينهم حظي في سالف الازمان برؤيا صليب منير فنذر ان يقيم هناك معبدًا للصليب وذلك في السنة ١٣٦٦ مسيحيَّة



صورة الصليب القديم المكتشف حديثاً في جوار بكّين
مع كتابتهِ السطرنجيلية

فكتب جونستون في شانغ هاي خبر اكتشافهِ هذا في السنة ١٩١٩ في مجلّة انكليزيّة تطبع هناك فبلغ الخبر حضرة الاب فيليب كليمان اللعازري (Mr Ph. Clément) فاراد ان يفحص ذلك الاثر فانتقل الى المعبد المذكور وكتب في النشرة الكاثوليكية فصلاً ضمَّنهُ ملحوظاتهِ · ونشر صورة الصليب التي كان سبق الى رسمها بالفوتغراف احد الترنسويين وفيها ترى الالفاظ الاربعة المجهولة التي على زوايا الصليب فارسل لنا عدد النشرة المذكورة وطلب الينا ان نبدي لهُ رأينا في هذه الكتابة ومضمونها · وقد رسمنا الصليب مع كتابتهِ

لا شكَّ انَّ الصليب المذكور احد آثار نصارى الكلدان النساطرة الذين بشَّروا في الصين مدَّة قرون طويلة واقاموا اثر «سي نغان فو» الذي سبق الكلام عنهُ ورسموا فيهِ الصليب كما تراهُ في هذه المجلّة

وكذلك كتابة الصليب المكتشف حديثاً تشبهُ الكتابة التي تتخلَّل اثر «سي نغان فو» في اطرافهِ وفي خلال كتابتهِ الصينيّة

وهذه الكتابة هي سريانيّة او كلدانيّة بالقلم السطرنجيلي الّا انَّ بعض حروفها اشبه بالحرف الكلداني فهي اقرب منَّا عهداً من كتابة سي نغان فو ولعلّها من القرن الثاني عشر او الثالث عشر

امَّا فحواها فشعارٌ اعتاد نصارى الكلدن ان يزيّنوا بهِ صلبانهم وهذه صورتهُ

ܚܘܪܘ	ܠܘܬܗ
ܘܣܒܪܘ	ܒܗ

ومعناها : « اشخصوا اليهِ (اي الى الصليب) وثقوا بهِ »

وقد رسمنا هنا صليباً غيره عن احد مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة وجدناهُ في جهات الموصل وفيهِ شعار آخر كثيراً ما يرسمونهُ ايضاً في تصاوير صلبانهم وهو بالسريانيّة

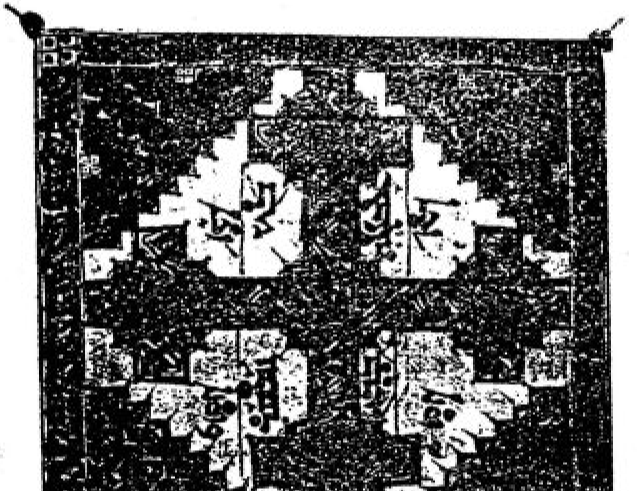
ܗܳܢܳܐ ܙܟ݂ܳܐ ܘܗܽܘ ܙܳܟ݂ܶܐ

ومعناهُ « هذا (اي الصليب) انتصر وهو ينتصر »

وبالحرف الاسطرنجلي :

ܚܝܐ | ܢܘܗܪܐ

ܠܥܠܡ | ܥܠܡܝܢ



صورة صليب منقول عن احد مخطوطات مكتبتنا الشرقية مع كتابات سريانية وسطرنجيلية

اي بك نسحق اعداءنا ٠ فتُثبت هذه المقارنة العلاقة بين الصليب الصيني والصليب العراقي ٠ وكان المرسلون من النساطرة الى الصين اصلهم من العراق فلا عجب من الشبه بين تصاويرهم للصليب المقدّس في وطنهم وغربتهم

الشيخ سليم باز

الفقيه المشترع الكبير

(١٨٥٩—١٩٢٠)

بقلم جناب شقيقهِ الدكتور جرجس باز

هو سليم بن رستم بن الياس بن طنوس بن باز ابي بشاكر كرم من سُراة جبل لبنان صاحب المؤلفات الفقهية وركن اركان العدلية في المملكة العثمانية

نشوءه واخلاقه وصفاته

وُلد رحمه الله بمدينة بيروت في اليوم الخامس من شهر حزيران سنة ١٨٥٩ للمسيح من ابوَين فاضلَين عريقَين في الحسب والنسب ٠ لأجداده الكرام شهرة عريضة وصفحةٌ بيضاء في تاريخ جبل لبنان (١ تشهد لهم بوسع الجاه فآثارهم (٢ تشهد

١) انظر تواريخ الامير حيدر شهاب وميخائيل الدمشقي وطنوس الشدياق والأبيغ (من زرق ميخائيل بكسروان) وغيرها ٢) لأجداد صاحب الترجمة ثلاثة قصور فخيمة في لبنان وهي قصر الشيخ جرجس باز بدير القمر لم يزل قائماً على نكبات الزمان ٠ وقصران بمدينة جبيل احدهما لاخيه الأكبر الشيخ طنوس باز موقعه شمالي المرسى (الميناء) والآخر لاخيه الاصغر الشيخ عبدالاحد باز موقعه شمالي كنيسة القديس يوحنا الشهيرة لم يبقَ منها الدهر الّا أطلالاً بالية :

عصاميٌّ عظاميٌّ كريم العرق زكيّ المنبت ظهرت عليه مخايل النجابة وملامح الفطنة والذكاء منذ نعومة اظفاره. فلما ناهز التاسعة من عمره ادخله ابواه سنة ١٨٦٨ مدرسة المرسلين اليسوعيين في غزير وكانت في ذلك العهد من اشهر مدارس سورية. فقرأ على اساتذتها اللغتين الفرنسيَّة والعربيَّة والعلوم العصرية الرياضية والتاريخية والمنطقية والفلسفية والطبيعية والتكلم في اللغتين المذكورتين وفي كل ذلك كان المجلّي في حلبة الرهان يُشار اليه بالبنان فضلاً عمَّا كان عليه من حسن الادب ولين العريكة ولطف المعاشرة وخفّة الروح حتى كان رفاقه يستبقون الى الالتفاف عليه في ساعات اللهو طلباً للاستفادة منه. ولما أتمّ دروسهُ العالية بمدرسة غزير سنة ١٨٧٥ ودَّعها بقصيدة فرنسيَّة عامرة الابيات سمَّاها «الوداع» اصابت لدى سامعيها حظّاً وافراً من الاستحسان. وفاز بقصب السبق فنال جائزة الفخر ولم يكن سواها بميدان السباق

ولما لم يكن ممن يستنيمون الى الفوز وكانت رغبته في العلم تشتدُّ يوماً فيوماً شمَّر عن ساعد الجدّ في طلب المزيد فادخله والداه سنة ١٨٧٥ مدرسة عين ورقة بكسروان (جبل لبنان) لتخرجهِ في الآداب العربية. فكان فيها عنوان الاجتهاد ومشكاة الذكاء ومثال الرزانة فغادرها في آخر السنة المذكورة فائزاً بالقدح المعلّى من آداب لغته العربية

ان آثارنا تدلُّ علينا فانظروا بعدنا الى الآثارِ

تاريخ بناء الاوَّل من هذه القصور سنة ١١٦٩ هـ كما تؤيّده كتابة على عَتَبَة احدى غرف القصر. والثاني سنة ١٢١٠ هـ والثالث سنة ١٢١٣ هـ كما يُستدلُّ ببيتين من الشعر كانا على عتبة قصر الشيخ عبدالاحد تعلوهما صورة اسد مكبَّل بالحديد وهما:

بُشراك انَّ السعد بالبُشْرِ وَفَدْ يشايةِ دامت بعزٍّ للأبدْ
والعِزُّ في تاريخه أسرُ الأسدْ فيدار سعدٍ شادها عبد الاحدْ

والعَتَبة المشار اليها عليهما نقلها الأمير بشير عمر شهاب لما ان نكب البازات سنة ١٨٠٧م كما هو مشهور ورضعها بمدخل ميدان قصره في بيت الدين (بقرب دير القمر) بعد ان بَتَرَ منها البيتين المذكورين وبقيت هنالك الى ان شبَّت النار في ١٨ تموز سنة ١٩١٣ م في مخزن «البارود» الملاصق للمدخل فطارت العَتَبَة في جملة ما اطارت النار من الابنية المجاورة فانشطرت شطرين ولم تزل على هذه الحالة في قصر بيت الدين. اما السعد المذكور في البيت الثاني فهو الشيخ سعد الخوري مدبر الامير يوسف شهاب احد ولاة لبنان لمح اليه الشاعر لان اصل الدار لهُ وهبها عبدَ الاحد ابن شقيقتهِ فشاد قصره مكانها

وفي سنة ١٨٧٦ قرأ الفقه الحنفي على المرحوم الاسقف يوحنا حبيب الماروني مؤسس الجمعية الكريمة مدة لا تزيد عن اربعة او خمسة اشهر فقدّره الاستاذ قدره وأُعجب بفهمه وذكائه فتحوّطه بالعناية التي هو اهلٌ لها وكان يقول عنه «ان ثبت الباز في المطالعة — ولست اراه الا ثابتاً — كان نابغة العصر ودرّة في جبين الدهر» . فقبس من علمه في بضعة اشهر ما لا سبيل لغيره الى مثله في بضع سنين وكان لا يشذّ عنه شيء من دقائق هذا الفن الموضوعة الى ذلك العهد فاجازه استاذه بشهادة تاريخها ٢٥ حزيران سنة ١٨٧٦ نكتفي بالالماع اليها لانها على نمط ما سبق من امثالها . ومن ذلك الحين عكف على المطالعة والدراسة بهمّة شمّاء تصغر عندها الهمم حتى فاق اهل وطنه علماً وادباً وسبق من تقدمه من اساتذة القضاء . فهو الرجل الذي لم يعوّل على حسبه ونسبه بل انشأ لنفسه على عماد الفخر داراً عزّ في زمانها مثلها

ومما امتاز به (ذاكرته) وغضاضة ذهنه فانه قلما قرأ شيئاً ولو مرّة واحدة ونسيه فانه كان يروي الرواية من تواريخ الغربيين والشرقيين بتواريخها واسماء اصحابها واسماء بلدانها . وقد رأيته اذا اشار الى مادة من موادّ المجلة او القوانين ذكر غالباً عدد الصفحة التي فيها تلك المادة . ومما رأيتُ منه انه عرّب مرّة عن التركية لاحد وجهاء عمشيت رسالة برقية مطوّلة وردت اليه من وكيله في الاستانة فبعد سنتين من الزمن اضاعها صاحبها وكان على مسيس الحاجة اليها فكتب له رحمه الله من ظهر قلبه الرسالة التركية وتعريبها . ومضت الايام ثم وُجدت الرسالة الاصلية فجاء ما كتبه الباز طبق ما فيها حرفاً بحرف . وكان الى آخر يوم من حياته يؤدّي ما استظهره من دروس المدرسة بتمامه لا يخرم منه حرفاً

ومن مميزاته (خطّه) في اللغتين العربية والفرنسية فانه كان جميلاً جداً ترى سطوره وحروفه متماثلة تجمع بينها ثخانة واحدة بحيث لو خطّ كتاباً برمّته لظننته مخطوطاً بريشة قلم واحدة من اوله الى آخره

ومنها ايضاً (سرعة خاطره وثبات عبارته في الانشاء) فانّي لم أرَ احضر منه جناناً ولا اربط منه جأشاً فقلما كان ينسف عبارة مما كتب ويقيم غيرها . ومن نظر الى «مسوّدات» تآليفه التي لم تزل في خزانة كتبه شاهدة بمقدرته في التأليف يكاد لا يرى فيها عبارة ممحوّة او لفظة محكوكة ويُعجب من جمال خطّه وتنسيقه ونظافته .

ولا ريبة في ان تلك النسخ الحلية هي باكورة دمعة اقلامه لانه كان رحمه الله عداد حروفها يوقف امام تلامذته واصحابه فكلما فرغ من تأليف «كراس» دفعه اليهم ليطالعوه وبدأ «بكراس» آخر. ولكثير من البساطة والرونق والطلاوة ما لا تجده عند كثيرين من صفوة الكتاب

اما (بلاغة المجاز) في الكتابة فحدّث عنها ولا حرج ولاسيا في اللغة الفرنجية فكلٌ من عرفهُ من الكتبة المجيدين يشهد لـهُ بانه كان يكتب في صفحة ما لا يكتبه غيره في صفحات . وكان لهُ جَلَد عظيم على المطالعة والتأليف فعزّ ان يكون مثله بين رجال عصره فانه كان يشتغل لا اقـلّ من اربع عشرة ساعة في اليوم ولم يدع النعاس يكحل عينيه في العشيّة الّا بعد المطالعة في مضجعه ساعةً زمانية وكان اذا طرق موضوعاً وفّاه حقه من البحث والوضوح

أما (لغته) فكانت عاميّة بسيطة وكان يكره التصنّع وبهرجة الكلام وتنميقهُ وعلى بساطتـه في التعبير كان اذا تكلّم صاخت الاسماع اليه لسلاسةٍ في حديثـهِ وسهولةٍ في تعبيرهِ وبساطةٍ في لهجتهِ كأنه فردٌ من عامّة الناس

قال عنه بعض الادباء وكان قد سمع به وقرأ تآليفه قبل ان يجمعه به مجلس: «زرتُ الباز وقد بلغني عنه مكانٌ جليل من الادب فوجدت العلم يتفجّر من جوانبه وعنده من المعرفة والعقل ما خُيّل لي انّ الفقهَ حشوُ ثيابه ورأيته على جانب عظيم من الدعة ودماثة الخلق وهو بمكانه من علو المنزلة ووفرة العلم والادب. وكل ذلـك لم يخالطه زهوٌ ولا عُجبٌ». والحق يقال انه ما تباهى قط بعلمه أو نسبه ولا قال قولاً تشمّ منه رائحة الكبرياء

جاءهُ مرّةً رجـلان يستشيرانهِ في امرٍ بينهما فلما خرجا سمعتُ احدهمـا يقول للآخر: «ويحك أهذا سليم باز . لعلنا في ضلالٍ عنه . فقال له رفيقه : هذا هو سليم باز بعينه . ما الذي حملك على الشك به . قال: يتكلم مثلنا كلاماً بسيطاً عامياً وهو قريب من القلب ليس عنده كبرياء . فضحك رفيقه وقال: هذه صفة العالم الكبير»

اما (مروته) فيذكرها كل من جاءهُ في حاجة ولم يكن قط ليعودَ قاصداً مترفعاً عن قبول اجرٍ ام مكافأةٍ على مكانه من الحاجة الى المال

وكان المرحوم على جـانبٍ عظيم من الصدق فيكره الكذب ويقول عنه :

هذا أجبن الناس . وكثيراً ما كان يردّد على اولاده واصحابه كما كان يردّد عليه ابوه قوله: «من يكذب الصبح يسودّ وجهه العصر»

اما (نزاهتهُ وعدله) فاشهر من نار على علم . اليك الحادث الآتي فتعلم مكانه منهما: تغيّر يوماً قائمقام الشوف في عهد المتصرف مظفر باشا على احد عضوي المحكمة لاسباب شخصية فحمل عليه حملةً شعواء. ودفع المتصرفَ الى عزله واسناد المنصب الى واحدٍ من انسباء صاحب الترجمة — ذلك ليأمن معارضته لانه كان مفتش العدلية في ذلك العهد وله القول والرأي في القضائيات — فشاوره المتصرف في الامر على مألوف عادته . فنفر نفور الأبل وتقطّبت سحنته وقال: «ما ذنب الرجل ليُعزل . قال: القائمقامُ يشكو منه . قال: عليه رفع الشكوى فننظر فيها . قال: وهل فلان نسيبك . قال: هو ابن عمي واخو زوجتي . ولكن أفي هذا حجّة للسكوت عن تضحية الرجل . قال: لا اقصد ذلك . فلما اوعز المتصرف الى القائمقام ان «ارفع الشكوى رسمية» سكت وكان له في سكوته دليلٌ قاطعٌ على افترائه وظلمه فأعجب بنزاهة الباز النادرة المثال . ومن ذلك الوقت اخذ النقيب يسعى في نزع استبداد الولاة بموظفي العدلية فكتب الى وزيرها في الاستانة وكان له منزلةٌ سامية عنده وهاج روح النخوة في صدور اعضاء المجلس النيابي فنشطوا الى موازرته وأجمعوا على أن لا يُعزل رجال العدليّة الّا بعد التحقيق عمّا يُتّهمون به والمحاكمة في المحاكم العدلية ان رأى المجلس داعياً اليها . وأيّدت ذلك عدلية العاصمة فجاء الامر طبق المراد . ودام الحال على هذا المنوال الى يوم الاحتلال الاجنبي في البلاد

وممّا لا يجوز ضرب الصفح عنه (حبّهُ لاساتذته) فكان يجلّهم ويرعى ذمامهم وينتهز الفرص لمكافأتهم او للدفاع عنهم وقصارى القول انه كان يعدّهم بمنزلة والديه . ودونك ما رأيتهُ رأي العين وكنتُ بمعيتهِ فتعلم مقدار كرم اخلاقه: بينما كان مسوقاً الى الاناضول في الحرب الاخيرة كما سيجيءُ بك لقيَ بمدينة حلب احد اساتذته اليسوعيين وهو ارمني الاصل عثماني التبعة فاخبره ان الوالي ينوي ابعادهُ الى سيواس باعتبار كونه اجنبياً لانتمائه الى الرهبانية اليسوعية الكريمة وقد صدر اليه الامر وأُمهل ثلاثة ايام للرحيل . فاسرع رحمه الله الى الوالي وسأله الرفق باستاذه واستبقاءهُ عنده في حلب وقال: «هذا كوالدي يا مولاي فأنا مكانه في قيد الاسر فافعل بي ما بدا لك

واعنْ عنه» . وما زال به حتى فاز بمراده وبقي الاستاذ في حلب الى المدنة رائعاً في بحبوحة الأمن والسكينة معجباً بمروءة تلميذه وشهامته في ظروفٍ كان انهماكه فيها بمباله وحاله يشغله عن انهماكه في امور الناس

وليس هذا كلّ حظ الانسانيــة منه . فانّ حفظه للمعروف لم يكن فيه زيادة لمتزيد سواءٌ صدرت النعمة من الاقارب ام من الاباعد . فدونك ما جرى له مع شقيقه في مدينة قيرشهر (الاناضول) محلّ منفاهما : نزلت به النزلة الوافدة و كانت وطأتهـا عليه ثقيـلةً فخارت قوة قلبه وكان عليلاً منذ سنين فخاف عليه شقيقه غدرَ الـداء خوفاً شديداً فلزمهُ ليلاً نهاراً وقام يكافح العلّة بنشاطٍ وثبات فشفـاه الله بعد ان كان اليأس قد وقع في قلوب الجميع . وبينما كان في طور النقه تذكّر ما بذله شقيقه من العناية به والعطف عليه فقال له: «بمَ اكافئك يا أخي» وطفرت الدمعة من عينيه . قال «وعلى مَ المكافأة» فشهق وقال : «بالحبّ في العناية بي كالأم الحنون فشفيتني باذن الله ولم تدعني اموت في هذه الارض»

وكان المترجم ضليعاً (بالمعارف التاريخية) . فكان في حافظته من اخبار السلف ما لم يكن اغزر منه عند غيره من علماء العصر ولاسيما من اخبـار بلاده . فكان اذا روى خبراً اشبع الرواية واغنى السامع بدقّة سَرْدهـا عن طلب المزيد . زاره يوماً صاحب الفضيلة الاسقف بولس ابي عضل واتفق في مجـاري الحديث انه استوضحه خبراً تاريخياً من اخبـار لبنان وتطرّقا من ذلك الى اخبـار شتّى من تواريخ الامم الشرقية والغربية فطال جلوسهما ساعات وهو يسرد الحوادث بتواريخها وأسماء رجالها بدقةٍ نادرة المثال وحضرة الزائر الكريم يقول له : «اسكرتنا يا عالمنا باتساع مداركك فزدنا من نثر هاتيه اللآلئ»

وكان يعرف من اللغات العربية والفرنسية والتركية . اما معرفته اللغة العربية فمن طالع مؤلفاته يعلم مكانته منها . اما اللغة الفرنسية فكان من نخبة الكتبة فيهـا حتى ظنّه مستشار عدلية بيروت فرنسيَّ الاصل لما رأى من بلاغة تقاريره وكتبه اليه . ولما ان عرف انه لبناني لم يطأ ارض فرنسا زاد اعجاباً به وطلب ان يراه . اما التركية فقرأ قليلاً منها بمدرسة غزير ثم أكبّ على التضلّع منها بالدرانة والمطالعة بعد هجيره المدرسة فنال منها حظاً وافراً تشهد لـه بذلك مؤلفاته التي كثير منها معرّب عنهـا

والشاؤه فيها لا يقل فصاحةً وبلاغةً عن انشاء كتبة الاتراك المجيدين الّا انه كان يتكلمها ببعض الصعوبة لعدم المران وقلة الاختلاط باهلها ولكن عبارته في التكلم كانت فصيحةً لذالك كان يتفهّن فيه تجنُّباً للسافل والعاميّ من الكلام . ولم يكن ليلوي عنان العزم عن طلب المعرفة في كل شيء

ومما نبغ به نبوغاً باهراً (العلوم الفقهيّة والقانونيّة) حتى ملأ اسمه المملكة وقد تنبأت عن نبوغه أمهُ وهو صبيٌ لم يترعرع . وهاك تحرير الخبر . جلست يوماً رحمات الله عليها في بيت ابيها فالتفَّ عليها بعض نسيباتها وأخذنَ يسألنها عن ولديها سليم وجرجي (١ وكانا اذ ذاك بمدرسة عزير للمرسلين اليسوعيين . فقلنَ لها : « جهداً لكِ كيف تصبرين على فراق ولديكِ وليس عندكِ من الوُلد غيرهما . كيف ترضينَ العيشة بين اربعة حيطان دونهما » . قالت : « ليس لي اجرٌ عند الله غير هذا » . قلنَ : أصحيحٌ أنكِ تنفقين على تعليمهما خمسة آلاف غرش كل سنة . قالت : وربّما اكثر منها . قلنَ : « ويحكِ حرامٌ عليكِ هذا التبذير وانتِ قليلة الثروة . فتصبحينَ صفر اليدين ومم تعيشينَ . اشتري لها بهذا المال توتةً وزيتونةً » . فضحكت وقالت : « التوتة والزيتونة يبيعانهما . اما علمها وصناعتها فلا يقدران على بيعها وسوف ترينَ ما سيكون من ولديّ . أما سليم فساعلمهُ الشريعة وسيكون بحول الله « قاضي القضاة وشيخ الفقهاء » . اما جرجي فساعلمه الطبَّ وسيكون ان شاء الله « ابقراط زمانه » وعندئذٍ هما يشتريان بجناحهما التوتة والزيتونة » . فبلغ قولها هذا ولديها وهما في المدرسة فاشتعلا تحمُّساً واخذ منهما التأثر كل مأخذ لثقة والدتهما وشدة عنايتها بهما فقال صاحب الترجمة وهو الاكبر لاخيه : « هيّا بنا يا أخيَّ نعقد العزيمة على مضاعفة الاجتهاد لنبلغ الشأوَ الذي يصوّرهُ الخيال لامنا فنبيّض وجهها وندرأ عنها شماتة نسيباتها »

ومن ذالك الحين شمّرا عن ساعد العزم وشدّا ركاب الحزم فنبغ السليم . كما تنبأت والدته وقد فسح الله في اجلها (٢ فرأت بعينها « قاضي القضاة وشيخ الفقهاء »

---

١) منشئ هذه الترجمة

٢) عاش أبواه حتى رأياه مفتشاً لعدلية لبنان وعمرت أمهُ حتى رأتهُ عضواً لاعباً في مجلس الشورى وفي لجنة الاشتراع وعاش كلٌّ منهما ثلاثاً وثمانين سنة متمتعاً بكامل عقله وادراكه

وكانت كلما ذُكر ولداها امامها تقول: «اودُّ من صميم فؤادي ان لا تلد لبنانيةٌ الّا مثلها» وكانت كلما رأت مؤلَّفاً جديداً «لقاضي القضاة» تضمّهُ الى صدرها وتقبّله وتقول: «هذه ثمرة التوتة التي سقيتُها حليب ثديي». ولما وضع اخوه كتاب «الروضة البديعة في تاريخ الطبيعة» وهو دون الثامنة عشرة من عمرهِ اخذت منه نسخةً فضمّتها الى صدرها وبالغت في تقبيلها وقالت: «وهذه ثمرة الزيتونة. فالحمد لله الذي دفع عني الشمات وملأ قلبي فرحاً الى الممات». ومضت رحمها الله عداد حسناتها وهي تقول لولديها: «علموا اولادكم الادب كما علمتكم فالعلم كنز لا يصل اليهِ لص والعالِم زهرةٌ لا تلفحها ريح السموم والاديب نبراسٌ نوره لا ينطفيء».

اما والده فكان على جانب عظيم من الذكاء واتساع الرأي وحب العلم على كونه لم يحسن الّا القراءة والكتابة وكان اشدَّ من امهِ ميلاً الى تخريج ولديه بالعلم والادب واوسع منها ثقةً بنبوغهما. نشأ في الاستانة وعاشر فيها كبار القوم فأخذ عنهم حسن المبادئ وقاد اخلاقه الى المحامد ومما يُعجَب به انه استظهر وهو في الخامسة والسبعين من عمره المعلقات السبع وقصيدة بشر وكثيراً غيرها من قصائد الشعراء بتفاسيرها. وكان لتوقُّد ذهنه وكثرة مطالعته عالماً بتواريخ كثير من الامم ولاسيما تاريخ لبنان وسوريا والامة العربية وقد وعى في ذاكرته كثيراً من الامثال والحكم. وله تاريخ صغير غير مطبوع عن حوادث لبنان ونفي الامير بشير عمر شهاب من سنة ١٨٤٠ الى سنة ١٨٦٠ سلس العبارة عامر الابنية على ما فيه من الاغلاط اللغوية لعدم المامه بقواعد اللغة

مبادئه القضائية

كان فيها مثال الجدّ والاستقامة وعفّة الذيل وكان اينما حلّ اخلصَ الخدمة لوطنه وحكومته. اشتغل في بدء الامر بالمحاماة ولم يطل عليهِ الزمن حتى بزغت شهرته واخذت تسمو وتسير في فلك القضاء سيراً حثيثاً وبعد ان خَبِرَ احوال القضاء والحكومة الادارية في لبنان رأى فيها من الخلل والنقص ما دفعهُ الى وضع تقرير مسهب بذلك استفرغ في مهيّتهِ جهده وابان فيه مواضع العيب والضعف والسبيل الى الاصلاح مستعيناً بتاريخ البلاد والتقاليد التي يحسن بواليها ان يجري مجراها للوصول

الى الغاية المنشودة ورفع هذا التقرير باللغة الفرنسية في ربيع سنة ١٨٧٢ الى والي البلاد رستم باشا فدهش الوالي لما جاء فيه من بيان غوامض خفيت عليه مع تحريه الدقيق للمسائل الادارية ومن الخطة السديدة التي جعلها الكاتب سبيلاً الى الاصلاح ومن بلاغة الانشاء ومن الجرأة التي كتب بها. فاستقدمه اليه وكان يظنه كهلاً لما رأى في التقرير من روح الرزانة وسديد الرأي وقوة الحجة ونضج الخبرة . فلما دخل عليه تفرّس فيه فرآه لا يزاحم العشرين من العمر فزاد اعجاباً به وبالغ في تكرمته وقرّبه اليه وحادثه طويلاً ثم قال له : «وجدتك يا باز في غير موضع ظني بك. فانت اصغر سناً واكبر عقلاً واوسع علماً وادباً مما سبق وهمي اليه ولم يطلعني احد من مواطنيك على ما اطلعتني عليه بتقريرك النفيس من الخفايا وما ارشدتني اليه من طرق الهداية فسأسترشدك في اصلاح حالة القضاء والحكومة الادارية »

وفي اواخر تلك السنة (١٨٧٢ م) شكا قائمقام جزين الى المتصرف قاضي المحكمة وسأله نزعه ونصب صاحب الترجمة محله فقال له : «هذا غاية ما اريد الا انه يحول دون ذلك سنّه فأرى ان افتح له باب الدخول بوظيفة نائب ثم ارفعه الى مرتبة القضاة» . واتفق ان دخل على المتصرف في تلك الساعة قائمقام الشوف وسأله عزل النائب من محكمته ونصب غيره من ذوي الاهلية فاجابه في الحال الى سؤاله ونصب الباز نائباً لقاضي محكمة الشوف في ٧ كانون الاول سنة ١٢٩٠ (١٨٧٢م) (١ .

ولما سقطت ولاية رستم باشا عن لبنان وجاء خلفه واصه باشا دفع اليه تذكرة فيها ما يسترشد به الى تدبير الشؤون بالخطة المثلى واطلعه على تقرير الباز ليتم هو ما لم يتيسر له استتمامه من الاصلاح المحكي عنه فيه وروضاه بصاحبه وسأله ان يرقيه في القريب العاجل ووصفه له بالمعرفة والذكاء. فاستقدمه اليه واصه باشا ونصبه قاضياً على جزين في ١٧ اوغسطس سنة ١٢٩٩ (١٨٨١م) ثم نقله في ٦ اوغسطوس ١٣٠١ (١٨٨٣م) الى محكمة دير القمر وفي ٢٢ مايس ١٣٠٣ (١٨٨٥م) الى محكمة البترون وفي ٨ اغستوس ١٣٠٥ (١٨٨٧م) الى محكمة المتن وفي ٢١ حزيران سنة ١٣٠٦ (١٨٨٨م) الى محكمة كسروان واستقال منها في ١ ك ١ سنة ١٣٠٨ (١٨٩٠م) فانقطع الى المحاماة والتأليف واقام بمدينة بيروت وكان لسمه فيها ملء جوانبها

(١) كانت محاكم لبنان في ذلك العهد مؤلفة من قاضٍ ونائب وكتبة

فرأى فتهافتها نوره عن كثب فالوا اليه والتفوا عليه فبهرتهم معارفه وتوارد اليه اصحاب الحاجات وطلبة الفقه من كل صوب فزها مجلسه بالفضلاء والادباء وصار يشار اليه بالبنان . اما اصحاب الدعاوي فاخذوا يتهافتون عليه تهافت الفراش على السراج فكان يبذل العناية في التوفيق بين الخصمين دون الحاكم ولم يكن ليُحجم قط من قبول التحكيم بينهما . وبقي على هذه الحال يصل الليل بالنهار منكباً على التأليف والدراسة الى ان جاء مظفر باشا والي لبنان السادس وفي نيته ان يُحدث وظيفةً جديدةً لاصلاح العدلية . فسأل مَن اكفأُ فقيهٍ في البلاد فدلّ عليه وذُكِرَت له مؤلفاته ومقدرتهُ ونزاهتهُ فضمّه اليه . ولما ان جالسهُ وسبرَ غورَهُ رأى من مبلغ فهمه وعلمه وادبه ورزانته فوق ما سمعه عنه فأسند اليه « مفتشية » العدلية ولم يكن لها رسمٌ في لبنان الى ذلك العهد فتقلدها في ٧ تشرين الثاني سنة ١٣١٨ (١٩٠٠م) فأداها الواجب من الاخلاص

ولما شاع خبرها توسّم الناس فيها خيراً ولاسيما لما ان عرفوا انها أُسندت الى الباز فقالوا « أُعطيتِ القوسُ باريها » فأخذ عفا الله عنه يرتّب المحاكم وينظّمها ويقوّم ما اعوجّ منها ويرشدها بمُحكم إرشاده وصحيح تعاليمه وسديد نصائحه . وصار رجال العدلية يحسبون له حساباً . ويكبّون على العمل أضعاف ما كانوا عليه من قبلُ فأصبحت العدلية في قصير من الزمن كأنها الروضة الغنّاء خلت من أشواك « الرشوة » وطحالب « المراعاة » وبثور « الكسل » وداء « المطل » . فصارت الحقوق تُقضى سريعاً . وزِدْ على ذلك أنه أمات من المحاكم روح التعصّب الديني الذميم وجعل فيها روح العدل الصحيح المجرّد . وكفّ يد القائمقامين من التدخّل في شؤونها وقد كانت من قبل مَلعب أهوائهم تصدر الاحكام بحسب ما يشاؤون ولاسيما في الدعاوي الجزائية

أجل . وفي تلك الغضون قامت على مظفر باشا بعض الاحزاب تندّد بما احدث وتَفرّع بما أصلح لغاياتٍ شخصية لم يظفر بها اصحابها فكدّروا صفاء الراحة وعكّروا مجاري الامور بما حركوا فيها من أوحال الدسائس وأقذار المقاصد الى ان اتّسع الخرق عليه بما خلقَ له اعداء الإصلاح والصلاح من المشاغب والمشاكل فرأى الإحجام من كل اصلاحٍ في لبنان أولى من العراك . فهدم ما كان قد بنى وفي جملته « مفتشية » العدلية وذلك في ١٥ ايلول سنة ١٣١٩ (١٩٠١م) فتأمل

ولمّا ان هدأ بال مظفر باشا من تلك الهزّة السياسية عاد فاستقدم الباز اليه في غرة كانون الاول من تلك السنة ونصبه مدّعياً عاماً لحكومة جبل لبنان فكان في منصبه الجديد كما كان في غيره مثال الرجل الكامل بعلمه وفضائله وكانت قد عظمت شهرته وعلت منزلته عند رجال العدلية فطلبوا نصبه عضواً في مجلس الشورى فنُصب بإرادة سلطانية في ٥ اغسطس سنة ١٣٢٩ (١٩١١ م) في دائرة التنظيمات منه . ألا انه لاسباب صحية مهمّة ولّدتها برودة المناخ في الاستانة اضطرّ الى الاستقالة من هذا المنصب الرفيع بعد عشرة اشهر من تولّيه فعاد الى لبنان وأخلد الى الراحة الى ان أبلّ من سقمه بحول الله فاعاده والي البلاد الى منصبه — الادّعاء العام — وجعله مستشاراً قضائياً لكل دوائر الحكومة

اما منزلته في مجلس شورى الدولة وعند رجال عدليتها واركان حكومتها فكانت ارفع منزلة يشتهيها . فانه كاد لا يستقر به المقام حتى اخذت تتوارد اليه ارباب المقامات الرفيعة لخطب ودّه والاعجاب به . ولمّا ان زار وزراء الدولة وصدرها الاعظم ورئيس محكمة التمييز العليا ادهشهم بواسع علمه ودقة فهمه وسديد رأيه فسماه رئيس الشورى « دائرة المعارف » اشارةً الى اتساع معلوماته . وفي تلك الاثناء عزمت الحكومة العثمانية على تنقيح قانون الجزاء وقانون المحاكمات الجزائية فعرضت عليه لائحة وسألته تنقيحها فنقّح منها مئة مادة رفعها الى وزير العدلية فوافقه على تنقيحها اعضاء اللجنة تمام الموافقة واثنوا عليه مع الوزير اطيب الثناء . وكان لعمله هذا رنّة في مراكز العدلية رجع صداها الى كل دوائر الحكومة فسمتْ مكانته في عالم القضاء . ونصبته الحكومة عضواً عاملاً في لجنة تنقيح المجلة وكان لم يزل عضواً في مجلس الشورى . وقد استدعاه يوماً اليه وزير العدلية وسأله التمسّك برأيه اذا عارضته اللجنة ورفْع ذلك اليه . فانفرد في تنقيح بعض المواد وكان الصواب في جانبه فأيدتها العدلية بتمامها

وبقي مدّعياً عاماً لحكومة لبنان ومستشاراً لعدليتها ومجالسها الادارية والتنفيذية والعسكرية يُرجَع اليه بمعضلات امورها الى ان وقعت الحرب الكونية واخذ جمال باشا قائد الحملة السورية يُجلي رجال لبنان ولاسيا الطائفة الراقية منهم فكان هو وعائلته في جملة المُجلَين الى مدينة قيرشهر من ولاية انقره كما سيأتي .

ولما ان أُتيحت له الأوبة الى الوطن شدَّ بعائلته الى العاصمة حيث احتفى به رجال الدولة وكرَّموه تكريماً بليغاً وبينما كان فيها موضوع احاديث العلماء والفقهاء كان المندوب السامي للحلفاء في بيروت يسأل عنه باهتمام فقيل له: «لم يَعُدْ بعد من الجلاء» فلما عاد وتقابلا ابلغه المندوب وكان السيد بيكو ان مركزه في حكومة لبنان لم يزل محفوظاً له الى ان تستتم حال الحكومة فيكون له المنصب الاول في عدليتها. فعاد الى منصبه في حكومة لبنان — منصب المدعي العام — في اول شباط سنة ١٩١٩م وبقي فيه الى الوفاة. وقد كان رحمه الله أبان وجوده في الحكومة اللبنانية مستشاراً لقضاتها وولاتها وكل دوائرها. يقف الجميع عند قوله ورأيه ولا يقطع الولاة امراً دونه. وكانت ثقة الناس في صدقه واخلاصه لوطنه وحكومته تامةً ثابتة وقد كتب عنه مجلس النواب اجابةً الى طلب والي البلاد بمناسبة نصبه عضواً في شورى الدولة ما يأتي:

«لدى الاستعلام من قلم المحاسبة تبيَّن ان مدة خدمة سليم افندي باز احدى وعشرون سنة وستة اشهر واربعة ايام وانه تدرَّج في وظائف العدلية من معاون رئيس محكمة في قضاء الشوف البدائية الى رئيس محكمة جزين فدير القمر فالبترون فالمتن فكسروان ثم مُفتِّشاً للعدلية ثم مدعياً عاماً الى ان استقال مؤخراً من هذه الوظيفة وقد كان في جميع هذه الوظائف مثالاً للجد والاجتهاد معروفاً بالامانة والنزاهة مشهوراً بمعارفه الشرعية والقانونية وفضلاً عما له من الخدمات الجلّى في جانب حكومة جبل لبنان فان له عدة شروح وتراجم ومؤلفات فقهية وقانونية الامر الذي اناله شهرة واسعة واكسبه رضى اولياء الامور وعليه فالمجلس تقديراً لحسن خدماته قد اصدر مضبطتهُ هذه لتسلم اليه نسخة عنها مصدق عليها تبقى بيده الى وقت الحاجة اليها وبكل حال الامر والفرمان لحضرة من له الامر في ٢٣ رمضان سنة ١٣٣١ و ١٧ اوغسطوس ١٣٢٩ (سنة ١٩١١م)

(رئيس المجلس)
حبيب السعد

اعضاء المجلس الياس شويري محمد صبرا فؤاد عبد الملك محمود جنبلاط داود عمون سليمان كنعان نعوم جبرائيل باخوس خليل عقل سعدالله الحويك حسين الحجار محمود الحاج محسن يوسف بريدي نقولا غصن

وكان القضاء بلبنان في اسوإ حال من الضعف والخلل وجهل القوانين لصدورها اليه باللغة التركية وهي غير لغة البلاد فشمَّر عن ساعد الجدّ وانكبَّ على تأليف

الكتب وتعريب القوانين والاحكام العدلية وشروحها على نمط متسع المجال غزير المادة لم يتنبه اليه احد من رجال هذا العلم . ولما كان مفتشاً للعدلية ومدعياً عاماً نظّم المحاكم فقوَّمها وهذَّبها بتعاليمه وارشاداته فرقّاها ورفع منارها وسهَّل لها العمل بما وضعه من المؤلفات والشروح حتى سار سيرها سائر المحاكم في السلطنة العثمانية . فكنت ترى مصنفاته في محاكم الاناضول واقصى البلدان كما تراها في محاكم الاستانة ولبنان . وكادت لا تنشأ الحكومة الوطنية في الشام والقدس وحلب وسائر البلاد العربية حتى اقبل رجال القضاء وطلبة الفقه على مؤلفاته إقبال الظمآن على ورود الماء . وقد بيعت مؤخرًا النسخة الواحدة من شرحه للمجلة باثنتي عشرة ليرة مصرية لندرة وجودها . فيا حبذا لو ساعدت الحكومة ورثته في استئناف طبعها احياء لهذا الاثر النفيس

وكادت لا تطير شهرته في علم الفقه حتى اقبل عليه الطلبة من كل صوب فتخرج عليه كثيرون من شبان الوطن فترى كثيرين من تلامذته طائري الشهرة اليوم في عالم القضاء وكثيرون منهم يشغلون بفضل استاذهم وتآليفه مناصب عالية في البلاد وكلهم ألسنة ناطقة بسموه وادبه

ومن حميد اثاره في عدلية لبنان انشاؤه : اولاً وظيفة كتبة العدل (النوته ريّة) في مراكز « القائمقاميات » ومعاونيهم في مراكز « المديريات » تسهيلاً لقضاء الحاجات وقد كان يحول دونه بُعد الشقة ووفر النفقة . ثانياً وظيفتا المستنطق والمدعي العام في المحاكم البدائية – ولم تكن لهما من قبل صفة رسمية – ثالثاً محكمة الصلح السيارة في كل « قائمقامية » تتناوب الاقامة في نواحٍ مختلفة ليسهل على الناس الوصول اليها في دعاويهم بلا مشقة ولا نفقة

ومن مشكور اعماله ايضاً حل مشاكل بعض الحوادث التي كان يعجز عنها قضاة التحقيق وكثيرًا ما وقع لهم ذلك في عهده اذ لم تكن تخفى عليه خافية او تغيب عنه غائبة . والحق يقال انه هو الذي نهض بالقضاء من خموله وبعثه من سُباته فنشر القوانين بلغة البلاد وشرحها وعزَّز الحكام ورفع منار العدلية وسهَّل للناس قضاء حاجاتهم ولطلبة علم الفقه سُبل الوصول اليه من طريق الايجاز الوافي دون التطويل الممل فحقق آمال والدته القائلة انه سيكون « قاضي القضاة وشيخ الفقهاء » :

ولما ان تشكلت عدلية بيروت الجديدة بعد الاحتلال الاجنبي اهتمت الحكومة بنقله من وظيفة الادّعاء العام بلبنان الى منصبٍ عالٍ في عدليـــة الدولة الجديدة. الاّ ان والي لبنان السيد لابرو استمهلها ريثما يحلّ بعض المشاكل وينظم بعض القوانين وفي جملتها القانون الاساسي للدولة الجديدة — دولة لبنان الكبير — وعما قال لهـــا مشيرًا الى بخدم المترجم: « أفي مثل هذه الآونة تقطعين يدي اليمنى ؟»

وكانت الدولة العثمانية سبقت وقدّرت قدره فأحلّته المحل الرفيع من الكرامة وزانت صدره بالاوسمة العالية منها المجيدي الثالث والثاني والعثماني الرابع والثالث واضافت الى ذلك دولة فرنسا وسام المعارف. وكانت حكومة الانتداب قد طلبت له من حكومة باريس وسام جوقـــة الشرف «اللجيون دونور» اعترافاً بما اخلص من عظيم الخدمة لوطنه الاّ ان المنية باغتتهُ قبل ان ترى عيناه اكليل المجد الذي ضفره له جهاده الطويل في خدمة المصلحة العامة فقضى رحمه الله والوسام في الطريق. ولما صافح السيد لابرو والي الجبل اخاه معزّياً اعرب له عن شديد اسفه وقال: «وددتُ لو فسح الله في اجله ريثما يصل الوسام الاّ ان لا بدّ من وصولـــه ولئن كان الفقيد غالدًا من دونه بعلمه وعمله» ولكن لسوء الحظ الى اليوم لم يصل ذلك الوسام.

وكان برّد الله ثراه متّسع الرأي والتدبير في الامور الادارية والسياسية ولاسيما سياسة البلاد ولذلـــك كان الولاة والنوّاب يعوّلون عليه في فضّ المشاكل وتـــدبير الشؤون. من ذلك ان متصرف لبنان مظفر باشا وواحد من قناصل الدول في بيروت اختلفا يوماً لامرٍ سياسي وكاد يتسع الخرق بينهما لولا ان الباز ارتأى لهما حلاًّ كان فيه فصل الخطاب. ولم يكن اقلّ اتساعاً في معرفـــة تواريخ الشرق والغرب. كتب اليه مرةً مؤلف فرنسي كان آخذًا بوضع ترجمة استير لستهوب (١) الانكليزية المشهورة يستوضحه بعض امورٍ متعلقة بها ويسأله ما عنده من الاخبار والقصص عنها ولا تعارُف سابق بينهما فكتب له مقالاتٍ كثيرةً عنها الاّ ان المؤلف لم ينسب الاّ القليل منها اليه ومن المحتمل ان يكون قد عرف الباقي من مصدر آخر

(١) هي بنت اخت « بيت » وزير انكلترة الشهير الذي كان من ألـــد اعداء نابوليون الاوّل. خرجت من بيت عظيم الثروة وهي عذراء فأتت الشرق على سفينةٍ تجارية خاصة ملأتها من التحف والهدايا ما يعجز القلم عن وصفها وذلك في اواخر الجيل الثـــامن عشر فساحت في وسّمت شهرها ملكة تدمر وقضت ايامها الاخيرة في قرية جون فوق صيدا ومات ودفنت فيها

مؤلفاته

باكورة مؤلفاته « مناجاة البلغاء في مسامرة البيغاء » رواية غرامية لطيفة عرّبها بتصرف عن التركية حوالي سنة ١٨٨٢ ثم حام خاطره على التأليف وهو في السادسة والعشرين من عمره فال اليه بكليته على مكانه من الحاجة الى انتحال المعاش تارةً بالمحاماة وتارةً بالوظيفة . فراض الصعاب حتى اذلّها واعتكف على التأليف لا يألو جهداً في متابعته ليلاً ونهاراً . امّا مؤلفاته الفقهية فاشهر من نار على علم . نعيد ذكرها هنا تعميماً للفائدة فنقول :

شرع في شرح المجلّة سنة ١٨٨٥ فاتمّه وطبعه سنة ١٨٨٩ على انهماكه بشؤون المحاكم التي كانت تتوالى عليها رئاسته . وما هو الا ان ظهر هذا التأليف الجليل الى الوجود حتى انهالت على صاحبه التقاريظ من علماء الفقه (١) معجبين بدقّة شرحه وبلاغة بحثه وسلاسة عبارته حتى ظنّه احد اساتذتهم شيخاً مسلماً طاعناً في السن . وتحرير الخبر ان ذاك العالم كان يلقي على تلامذته في مكتب الحقوق بالاستانة بحثاً تضاربت فيه الاقوال فقال لهم بعد ما جال في ميدان البحث جولة العالم الخبير والدقّق التحرير : « لم أرَ قولاً اصحّ ولا رأياً اسدّ من رأي الشيخ باز فخر الاسلام والقضاء في شرحه المجلة . مثل هذا ينبغي ان يعوّل عليه » . وكان في جملة النجباء المومأ اليهم سعيد بك زين الدين المدّعي العام بمحكمة التمييز في حكومة لبنان الكبير فضحك . ثم خلا بالاستاذ وقال له : « ليس الباز شيخاً طاعناً في السن كما خُيِّل لجنابك ولا هو مسلمٌ بل هو نصرانيٌّ من جبل لبنان دون الاربعين من العمر » فقال والدهشة ملءُ عينيه : « وهل يبلغ المسيحيون في بلادكم هذا المبلغ من العلوم الفقهية والمعارف الشرعية » قال : « نعم والباز الدليل » واشرق محيا سعيد بك افتخاراً بابن بلاده حتى ودَّ لو أنَّ له جناحاً كالباز فيطير اليه بالخبر

ولما أن نفدت الطبعة الاولى من المجلّة لبّى سؤال كثيرين فاستأنف طبعها سنة ١٨٩٩ بعد ان نقّحها وزاد عليها من الشروح والتعاليم ما احلّها المحلّ الاول بين كتب الفقه . وقد نفدت هذه الطبعة الثانية من نحو ثلاث سنوات فأعدّ الطبعة الثالثة وزيّنها با

(١) انظر اوائل الطبعة الثانية من المجلة

تفضل به سالفتيها ففاجأته المنية قبل طبعها

ثم شرح قانون المحاكمات الحقوقية وطبعه سنة ١٨٩٥ وثنى طبعه سنة ١٩١١ بعد ان هذّبه وزاد عليه وقد صارت الطبعة الثانية على وشك النفاد . اما هذا التأليف فأحلّه علماء الاستانة كشقيقه السالف الذكر محلاً رفيعاً ايضاً واخذ عنه كثيرون منهم بل نقلوا قسماً واسعاً منه بحرفه الواحد . وكاد لا يُتمّ هذا التأليف حتى شرح قانون المحاكمات الجزائيــة شرحاً بديعاً منقطع القرين عدّهُ جمهور علماء القوانين من اسمى التصانيف في نوعه وطبعهُ سنة ١٩٠٥

ثم الّف وطبع سنة ١٩٠٩ كتاباً مختصراً في علم الفقه غزير المادّة جزيل الفائدة سماه «مرقاة الحقوق» فهو والحقّ يقــال كتاب جليل يحتاج اليه كلُّ من يريد ان يعرف ما له وما عليه من الحقوق . فيا حبذا لو جعلته المدارس العالية في نطاق تعليمها

وقبل الحرب الاخيرة عرّب عن التركية قانون الجزاء وشرحه شرحاً وافياً وذيّله بتعريب القوانين والانظمة التي سُنّت لبعض العقوبات لعلاقتها به وطبعه سنة ١٩١٦ . وعرّب ايضاً جميع الانظمة والقوانين الخصوصية وكتباً عديدةً غيرها لم تطبــع وهي لم تزل محفوظة في خزائن كتبه

وله فضلاً عن ذلك في جريدة العدلية فصول فقهية وقانونية رائعة المباني ضافية الذيول كتبها اجابةً لاقتراح وزارة العدليــة في الاستانة في تاريخ ٢٢ كانون الاول سنة ١٣٢٠ (سنة ١٩٠٠م) . وعرضت عليه الوزارة المذكورة لائحةً في بعض الموادّ من قانونَي الجزاء والتجارة تسأله رأيه فيها فجاءها سديداً فاحلّته محل الاعتبار ووضعتهُ موضع الاجراء . ولو عددنا ما للفقيد من التآليف والتعريبات العديدة المطوّلة والقصيرة لبلغت الاربعين عداً طبع البعض منها في ذيل كتابه قانون الجزاء والبعض على حدة والبعض الآخر لم يزل غير مطبوع

صفاته

لما جلا جمال باشا قائد الحملة السورية بعض الأُسر اللبنانيــة الى بلاد الاناضول وجّهه في جملتها بعياله لمثال المجرمين . ولما ان قرب يوم الرحيــل وكان القوم في ذل عاليه فرّقت فيهم الحكومة مالاً لنفقة الطريق فترفّع هو واخوهُ عن قبول شيء منه

على مكانتها من الحاجة اليه . ولم يبعد القطار كثيراً عن «عاليه» حتى أفاقت الحكومة من غفلتها وتذكرت ان مؤلفاته بين ايدي قضاتها يطلقون الاحكام من محاكمها مستندة الى شروحه واقواله وآرائه فطيّرت على اجنحة البرق الى ولاة المدن التي في طريقه أن: «اكرموا الباز عالم المملكة الكبير فان احوالاً سياسية ليس الا قضت بابعاده موقتاً» (١ فكان اينما حلّ طوّقه والي البلد بالتكرمة التي هو اهل لها وقرّبهُ اليه واوسع له في مجلسه . وكثيراً ما نفع بتلك المنزلة من الكرامة غيرهُ من الرفاق فكانت لهم غنماً في ارض الغربة . اما في منفاه فلقي من متصرف قيرشهر حيث كانت اقامته مع اخيه ورفاقه ومن اكابر موظفي الحكومة واعيان المدينة من الحفاوة والاحترام ما لم يزده الا تواضعاً وزهداً

ولما استقر به المقام عاد الى بذل مهجته في المطالعة والتأليف لانه كان يأنف الفراغ الا ان إبعاده عن وطنه حطّ كثيراً من همته لتألم نفسه . وعرفت حكومة قيرشهر واعيان موظفيها وسكانها مكانته من الفضل فانصرفت وجوههم اليه . ولما ان زارهُ لاول مرة رجال عدليتها قالوا له: «نحن نعرفك يا استاذنا من زمن طويل» فقال: «لا اذكر انه جمعنا مجلس قبل اليوم» فاستدرك المدعي العام «علي نظمي بك» وكان اوسعهم علماً واعلاهم مقاماً وقال: «نحن نعرفك بتآليفك النفيسة التي بين ايدينا» . فتبسّم رحمات الله عليه وقال: «وهل تعرفونني بها من زمن بعيد» قالوا: «من يوم ولادتها وكنا ننظر الى مؤلفها الفاضل بعين الوهم فما اسعدنا اليوم ان نراه بعين الحقيقة» . اما علي نظمي بك فكان اقرب الناس مكاناً الى المتصرف وكان نافذ الكلمة ذكي الفؤاد يرأس فرعاً من جمعية الاتحاد والترقي فعلى مكانته هذه كان كلما رأى صاحب الترجمة تحفّز للثم يده ولم يكن يدعوه الا «بالاستاذ الاكبر»

ولما ان مرّ طلعت باشا رئيس الوزارة العثمانية بمدينة قيرشهر سنة ١٩١٨ وكان يتثبت من احوال الاناضول استأذن عليه اللبنانيون فاذن لهم . فلما دخلوا عليه وكان يحيط به متصرف البلاد وكبراء العمال احتفى بالباز غاية الاحتفاء وقرّبه منه

(١) هذا مآل امر جمال باشا ذكره ولاة حلب واطنه وغيرها لصاحب الترجمة يوم مروره بها

وصرف اليه وجهه بالحديث ودعاه مراراً « بفخر القضاء » ثم التفت الى المتصرف وقال : « هل انتم عارفون قدر الباز وهل مؤلفاته الجليلة كلها في محاكمكم . هل اسكنته بيتاً مليحاً وهل اوسعتَ له في الاثاث والرياش ويسّرت له اسباب الراحة التامة . وهل زرته . . . . » فاشرأبت اليه الاعناق وحدّق اليه القوم وملء عيونهم الإعجاب بما رأوا من مكانته عند رجال السلطنة العظام . وفي تالي الايام جلس الوزير الاعظم للناس في رواق القصر وكان يحفّ به المتصرف وكبار رجال الحكومة بعضهم جلوس وبعضهم قيام فلاحت منه التفاتة الى شماله فرأى الباز واقفاً فصاح بخادمه على مسمع من الجميع أن : « عجّل بكرسيٍّ الى باز افندي » . وهذا ايضاً ألفتَ الانظار اليه . وكانت الحكومة العثمانية بناء على طلب اصدقائه في العاصمة قد فسحت له دون غيره في الانتقال من قيرشهر الى آطنه او الاستانة فآثر البقاء في مكانه لكي لا ينفصل عن اخيه ورفاقه وفي اواخر سنة ١٩١٧ نصبته عدلية الاستانة عضواً في محكمة التمييز العليا وسألت جمال باشا ارساله اليها فأبى بحجة انه مجلٍّ عن بلاده لاسباب سياسية الا انه صوّب نصبه ووافق الحكومة على انهُ واقعٌ في اهله واستمهلها في تحقيقه الى ما بعد الحرب . وقد ابلغه ذلك وزير العدلية الى قيرشهر بقلم الاستاذ الشهير الياس افندي رشّام

موقفه لدى الانتداب الافرنسي — وفاته

سبق الالماع فيما مرّ من الكلام الى ان صاحب الترجمة أُعيد الى منصبه بلبنان حال عودته من الجلاء . فلم يبعد بهِ العهد طويلاً حتى قدّره قدره والي البلاد وكان في ذلك الوقت السيد لابرو الفرنسي فادناه منه ومال اليه وجعله مستشاراً له ولكل دوائر حكومة لبنان (قبل اعلان الاستقلال) . وقبل وفاته بيومين رحمه الله سألهُ الوالي المذكور ان يضع القانون الاساسي للمملكة الجديدة (لبنان الكبير) وان ينجزه في شهر من الزمن فضحك وقال : « أمع شواغل الوظيفة تؤمل يا حضرة الوالي انجازه في شهر من الزمن ؟ كانك تجهل ما هو القانون الاساسي . فلو تجردتُ عن الوظيفة اليه لما أتيت عليه في اقل من شهرين » قال : « تدبّر اذاً الامر كما تريده » وكان ذلك صباح السبت في ٢٦ نوار سنة ١٩٢٠ فبدأ بالقانون الاساسي مساء ذلك اليوم —

الى الهجعة الثانية من الليل واستمرَّ على التحرير والتحبير يوم الاحد الى قبل الظهر بنحو من ثلاث ساعات . فدخل عليه صديقه صاحب السيادة الاسقف بولس ابي عَضَل كما سبقت الاشارة اليه فاخذا يتجاذبان اطراف الحديث الى الهاجرة ولم يُتَح له استئناف التأليف الّا في الساعة الثانية بعدها فأكبَّ عليه الى الهجعة الثانية ايضاً ونام . وكانت جملة ما كتب منه في بضع وخمس عشرة ساعة ثلاثاً واربعين مادة . ولما ان اصبح كجري عادته دخل مخدعه واسرج للكتابة ففاجأته المنيَّة على غرَّة . فمات كالجندي الباسل شهيد الواجب في خدمة الوطن والقلم في يده وكان ذلك في حدَث بيروت نحو الساعة الرابعة من صباح الاثنين في ٣١ ايار سنة ١٩٢٠

ولما انتشر منعاه في البلاد شمل الاسف رفيعها ووضيعها وتزاحم القوم على بابه يأسون عائلته ويعزُّون والكآبة ملءُ صدورهم ووجوههم . ثم نُقلت جثته الى دير القمر موطن اجداده ودُفنت في الضريح الفخيم الذي ابتناه لزوجته الاولى رحمات الله ورضوانهُ عليها . وهناك ايضاً توارد الناس افواجاً افواجاً الى قصر الشيخ جرجس باز احد اجداد الفقيد لمشاطرة اسرته الكريمة الحزن والاسف . وبينهم حضرة الاستاذ الشيخ سليم علم الدين . فروى ان الاسف عليه في بعقلين يعجز عنه الوصف وان جمهوراً كثيفاً من رجالها اقاموا له مناحةً مؤثرةً فحملوا نعشاً مزداناً بالازهار واخذوا يطوفون الشوارع بالندب والنواح حتى استناحوا كل اهل البلدة قال : « وخرجتُ من بعقلين والدمعة في عيني ولم أرَ قط مناحةً مؤثرة مثلها » وكان صراخ هذه المناحة والحالة هذه مسموعاً الى قاعات القصر حيث كانت الجثة . ورثاه الخطباء والشعراء وبكته المطابع والمحابر والجرائد على اختلاف نزعها . وقالت الأمهات لاولادهنَّ : « كدُّوا وجدُّوا كما جدَّ الباز لتصلوا الى ما وصل اليه من الفخر » . وتسابق تلامذته الى طلب اقلامهم تيتُّناً وتفاؤلاً . . . وأبنهُ شقيقه بمقال يبكي الجماد ويفتت الاكباد

وكانت مدة توليه المناصب في العدلية احدى وعشرين سنة وستة اشهر وكان رحمهُ الله يرحم فوق الرَّبعة من الرجال معتدل القامة ابيض اللون عريض الجبهة اشقر الشاربين وديع النظر انيس الطلعة ذكيّاً كريماً جليداً على الشغل أبيّ النفس سليم القلب

صادق المقال عفيف القلب جريئاً في الحق قاضياً للحاجات واسع المعارف لا يملّ سامعهُ من كلامهِ للينة شمائله وبساطة نُكته . وكان فوق كلّ ذلك عريقاً في الدين مواظباً على فرائضهِ مكرّماً لأربابهِ

تزوج في قومهِ فاقترن في ٦ ايلول سنة ١٨٨٤ بدميانة ابنة قريبهِ سعيد باز حفيد الشيخ جرجس باز الشهير في تاريخ جبل لبنان فرُزق منها غلامين وبنتاً هم يوسف المدعي العام في محكمة كسروان — ورشيد ومريم زوجة يوسف بن سليمان ثابت من دير القمر وتوفّاها الله في السابعة والعشرين من عمرها في ١٨ تشرين الثاني سنة ١٨٩٥ وكانت رحمها الله بارعة الجمال دمثة الاخلاق طاهرة الذيل . ثم اقترن الفقيد بعد وفاة قرينتهِ بشقيقتها املي في ١٦ شباط سنة ١٩٠١ فولدت له رستم وعبد الاحد وأسما ولوسيا وسعداً . اما هذا الاخير فكان عمرهُ يوم وفاة ابيه سبعة اشهر فقط

وكان حقّنا ان نورد هنا اقوال عظماء الرجال في فقيدنا ومكاتباتهم اليهِ في حياتهِ وما نشرتهُ الجرائد في اطرائهِ عند وفاتهِ وما قيل في تأبينهِ اجزل الله ثوابهُ الا انّ مجموع هذه الاقوال يقتضي الصفحات الطوال ولعلّنا ننشر هذه الآثار في كرّاس خاصّ فترى هناك رسالات للوزراء كالفقيه نجم الدين باك وزير عدلية السلطنة العثمانيّة وكاحمد جودت باشا وزير العدليّة والمذاهب فضلاً عن تقاريظ لاصحاب الكرامة والسيادة كالاستاذ الفاضل المغفور له الاسقف الجليل يوحنا الحبيب وكالشيخ محمّد عبده الشهير مفتي الديار المصريّة والشيخ ابرهيم الاحدب والشيخ ابرهيم القبّال والسيّد عبدالحميد الرافعي والشيخ عبد الغني البارودي والشيخ نوفل قدسوه الخازن ويا حبّذا لو تكرّم علينا الخطباء والكتبة والشعراء والصحافيون بما كتبوا عن الفقيد لنضمّهُ الى ترجمة حياته الكاملة التي سنطبعها على حدة ان شاء الله

هذه هو الرجل الذي بكيناه وبكاه القضاء بكاء الثكلى . فلا ننسى ما نسينا ما ألمّ بنا من فرط الحزن عليه يوم ترلت في ساحة الفقه الملمّة الكبرى . ما نسينا وأيم الحق حزناً اخلفت لشدة لوعته قلوبنا . ولا فاجعةً منا خمدت الى اليوم نارها في صدورنا . بكينا الشقيق العزيز بمحمرّ الدموع . وتقوّضت لهول تلك الرزيّة فينا حنايا الضلوع . وانطلق لسان الأدب يقول :

فوا أسفي لو يقبل الموت فديةً فديناك بالنفس العزيزة يا « سليم »

المخطوطات العربيّة لكتَبة النصرانية

٢٨٣ ﴿جاكيه﴾ الاب فرنسيس (Fr. Jacquier) المعرَّب ايضاً «ياكوب» من الرهبنة الفرنسيسيَّة المتوفى سنة ١٧٨٨ . عرَّب الخوري انطون صائغ الكاهن الملكي الحلبي سنة ١٧٦٦ كتابهُ المعنون «بارسومات الفلسفيَّة» مع مقتطفات من كتاب يوحنا دوهامل الفرنسيسي . منهُ نسخة في المتحف البريطاني في لندن (Suppl. n°43) تاريخها سنة ١٧٦٦ . وفي حلب في مكتبة الروم الكاثوليك نسخة اخرى في خمسة اجزاء.

٢٨٤ ﴿جانّسو﴾ الاب يوسف اليسوعي (P. J. Jeannesseaux) المتوفى سنة ١٨٨٤ طُبع لهُ في مطبعتنا كتابهُ في رياضات مار اغناطيوس مع شروحها وتذييلاتها سنة ١٨٩٥ عرَّبها المرحوم سعيد الشرتوني

٢٨٥ ﴿جبرائيل دي رومورانتان﴾ الكبوشي (Gabr. de Romorantin) كان مرسلاً في القرن السابع عشر في سورية . ذكرهُ الاب هيلار دي برانطون في تاريخ الرهبنة الكبوشيَّة في الشرق (١ اوَّلاً تفنيدهُ للقرآن صنَّفهُ سنة ١٦٦٩ وثانياً كتابهُ في التعليم المسيحي

٢٨٦ ﴿الجُبَيلي﴾ انطونيوس بن مبارك . دخل في مكتبتنا الشرقية في ايلول سنة ١٩١٨ كتابٌ مخطوط بالكرشوني عنوانهُ «بعض وعظات وكرزات مصنفهم انطونيوس بن مبارك الجبيلي تلميذ مدرسة الموارنة في مدينة رومية الكبرى» كتبهُ سنة ١٨٤٧ صفحاتهُ ٣٠٨ ولا نعرف شيئاً من امر المؤلف

٢٨٧ ﴿جراسيموس﴾ رئيس دير مار سمعان العمودي . من كتبة القرن الثاني عشر او الثالث عشر . لهُ «كتاب الكافي في المعنى الشافي جمع فيه شواهد من العتيقة والحديثة ومن سائر الاديان على تثبيت الدين الحق ومن كتب الحكماء والوثنيين وكتاب المسلمين» . من هذا الكتاب نسخة قديمة في احد مجاميع مكتبتنا الشرقية (العدد ٥٥) . وفي مجموع آخر لحضرة الخوري قسطنطين الباشا . ثم في بيت الدكتور

(١ اطلب كتابهُ P. Hilaire de Barenthon : *La France Cath. en Orient. p.* 123

سمعان في حمص تاريخها سنة ٧٢٠٩ للعالم وسنة ١١١٣ هجريّة (١٧٠١ م) كاتبها يوسف بن عبدالله بن يوسف الملقّب بالشدياق في قرية كفرحلدا في ناحية البترون من اعمال طرابلس القاطن وقتئذٍ حمص

٢٨٨ ﴿جرمانوس﴾ اغناطيوس مطران حلب الرومي الكاثوليكي المتوفّى في ك ١ سنة ١٧٧٦ (اطلب المشرق ١١ [١٩٠٨] : ٥٤٢) . له في مكتبتنا الشرقيّة : ١ً مجموعة مواعظ في ثمانية مجلّدات بينها جزء يحتوي شروحاً على قوانين الرهبان المخلّصين عددها ٣٣ قانوناً . أمّا المواعظ فألقاها وهو خوري ورئيس المخلّصين ثم مطران في كلّ مواضيع الخطابة الدينيّة النظريّة والادبيّة وفي الاسرار والاعياد وتفسير الاناجيل . مخطوطة في زمانه . ٢ً رسالة عنوانها البحث الراهن في فحص الكاهن تاريخها سنة ١٧٧٤ (ص ٦٩)

٢٨٩ ﴿جرجس البطريرك الاسكندري﴾ ويقال جاورجيوس الملكي المتوفى سنة ٦٣٠ م هذا ألّف في اليونانية «سيرة ابينا الجليل في القديسين يوحنا فم الذهب رئيس اساقفة القسطنطينيّة» . فنُقلت الى العربيّة دون ذكر معرّبها . منه ثلاث نسخ في مكتبتنا الشرقيّة الواحدة منها متقنة الكتابة بنقوش وفهارس شتّى كانت سابقاً في مكتبة جبران دلّال يرتقي تاريخها الى القرن السابع عشر . الثانية حديثة منسوخة عنها . والثالثة بين مخطوطات البطريرك مكاريوس ابن زعيم الحلبي . وفي آخر النسخة ترجمة خطابين للقديس يوحنا فم الذهب عرّبهما البطريرك اثناسيوس الانطاكي الاولى خطابة لاجل اوطروبيوس الخصيّ والوالي والثانية في افادة قراءة الكتب المقدّسة . ولعلّه هو ايضاً معرّب سيرة القديس السابق ذكرها وفي اخرها فهرس مصنّفات القديس يوحنّا فم الذهب على موجب النسخة اليونانيّة المطبوعة في ثمانية مجلّدات سنة ١٦١٢ م منه نسخة في مكتبة الكلدان في ديار بكر

٢٩٠ ﴿جرجس الرابع﴾ ابن شمعون عبد الكريم البطريرك اليعقوبي المرتدّ والمتوفّى في ٢١ تموز ١٧٨١ (اطلب ترجمته في كتاب الفيكونت دي طرازي السلاسل التاريخيّة ص ٣٩-٤١) . ألّف كتاب الاعتقاد الصحيح في تجسّد السيّد المسيح م منه نسخة في مكتبة اليعاقبة في القدس . وله في مكتبة السريان في ماردين وفي مكتبتنا الشرقيّة صورة ايمانه التي ارسلها الى البابا بيوس السادس سنة ١٧٧٦ بخطّه وختمه

٢٩١ ﴿جرجس الراهب﴾ من سيق مار سمعان العمودي قرب انطاكية ·
له مباحثة مع ثلثة من علماء المسلمين · امام السيد مشتمر اخي الخليفة القاهر الغازي
ابن يوسف بن أيوب الصلاحي المالك على الاسلام بمدينة حلب والشام وفي تملك
لاون الارمني بن اصطفان في السنة ٦٦١٥ للخليقة (١١٦٨م) · منه ثلث نسخ في
المكتبة الفاتيكانية ع ١٨و١٢٨و١٤٦) · وثلث نسخ ايضاً في مكتبتنا الشرقية ·
ونسخة في مكتبة دير الروم في القدس(ع ١٢٠) ونسخ اخرى متفرقة

٢٩٢ ﴿جرجس مارون﴾ القس اللبناني الاهدني · ذكره الدويهي في تاريخ
الموارنة في سنتي ١٦٠٩و١٦١٠ (ص ١٨٨و١٨٩) · له كتاب خط في انساب بعض
الأسر اللبنانية (راجع تاريخ بطل لبنان الي سمراء غانم ص ٣١٥)

٢٩٣ ﴿جروه﴾ البطريرك اغناطيوس بطرس السرياني الكاثوليكي من ٣
اذار ١٨٢٠ الى وفاته ١٦ ت ١ سنة ١٨٥١ · (اطلب ترجمة في كتاب الزهرة الزكية
في البطريركية السريانية الانطاكية للقس اسحاق ارملة ص ١٠١–١٠٣ والسلاسل
التاريخية للفيكونت دي طرازي ٩١–١٢٠) · من اثاره : ١ً ارشاد الذين يتقدمون
للفحص كي يقبلوا الدرجات الاكليريكية · هو الكتاب الذي الفه لويس طرنيي
احد كهنة جمعية الاكليريكيين فطبع لاتينياً سنة ١٨١٩ فعربه البطريرك بطرس
جروه ثم سعى بطبعه بعد تعريبه ثانية المطران بولس مسعد · منه نسخة في مكتبة
السريان في حلب · ٢ً تعريب حياة مريم العذراء للاب بوناونتورا اماديوس من
الرهبان الاصغرين منه نسخة في مكتبة الشرفة · ٣ً تعريبه لكتاب الحياة الالهية
والطريق المختصرة السلطانية لربح الكمال تأليف الاب نيرمبرج اليسوعي في مكتبة
دير الشرفة ايضاً ومنه نسخة لدى المثسيور الخورفسقف جرجس شلحت في حلب ·
٤ً تعريب مختصر اللاهوت النظري والادبي لتوما دي شرمز الكبوشي عربه في
رومية سنة ١٨٢٦ · منه نسخة في مكتبة لندن (Suppl. n° 41) ونسختان في
مكتبتنا الشرقية احداهما تاريخها سنة ١٨٢٦ · ونسخة في مكتبة السريان في حلب
وفي مكتبة دير المخلص قرباً من صيداء · ٥ً سيرة عبد الطيب الاثر البطريرك ميخائيل
جروه · في مكتبة الشرفة · ٦ً وكتاب الخطب النبية عن الله والكنيسة في مكتبة
السريان في حلب في ثلثة مجلدات (راجع السلاسل التاريخية ص١٠٩)

٢٩٤ ﴿جروه﴾ البطريرك ديونيسيوس ميخائيل السرياني الكاثوليكي المتوفى في ١٦ ايلول ١٨٠٠ (راجع مقالتنا في التذكار المئوي لوفاته في المشرق ٣ [١٩٠٠] : ٩١٣-٩٢٦ والسلاسل التاريخية ٢١٢-٢٢٨ والزهرة الزكيّة ٩٥-٩٨) . هو جامع مكتبة دير الشرفة . ومن تآليفه الخاصّة هناك : ١° ترجمة حياته واخبار رحلته من الموصل الى بغداد . روينا قسمها الاكبر في المشرق (٩ [١٩٠٧] : ٩١٣-٩٢٦) . ٢° لهُ تعريب الكتاب الروحي المعنون «مخاطبة العريس مع العروس» كتبهُ في ماردين . منهُ نسخة في مكتبة دير الشرفة وفي مكتبتنا الشرقيّة . ٣° تعريب مقالات مفيدة لدحض آراء اليعاقبة في سرّ التجسّد وفي التقديسات مع نبذة سمّاها «الحقّ المظهر في انبثاق الروح القدس والمطهر» . ٤° لهُ في مكتبة الشرفة رسائل ارشاديّة ومناشير راعويّة ومواعظ شتّى نشر بعضها السيّد ديونيسيوس نقاشه في كتابه «عناية الرحمان في هداية السريان» . ٥° صنّف ورتّب كثيرًا من كتب الكنيسة السريانيّة الطقسيّة وترجم بعضها الى العربيّة (راجع السلاسل التاريخيّة ص ٢٢٦)

٢٩٥ ﴿جستو دي لابواز﴾ (Juste de la Boise) ويروى (Juste de Beauvais) كان في اواسط القرن السابع عشر رئيسًا على الرهبان الكبوشيين القيمين في بغداد . ١° لهُ في مكتبتنا الشرقيّة نسخة حسنة من تعريبه كتاب التعليم المسيحي الذي صنّفهُ الكردينال ده ريشليو (C^{al} de Richelieu) مطران مدينة لوصون في فرنسة . وهذا الكتاب قد ظهر بالطبع في باريس سنة ١٦٦٠ على نفقة الكردينال المذكور . ٢° وقد ذكر لهُ الاب هيلار دي برانتون (La France Cath. en Orient, p. 123) كتابًا في المطهر في العربيّة . لعلّهُ الكتاب المصون في مكتبتنا الشرقيّة وهو غفل من اسمهِ . وذكر ايضًا لهُ ترجمة سفر طوبيا بالتركي

٢٩٦ ﴿الجسري﴾ الاب لويس اليسوعي (P. Louis Dupont) المتوفى سنة ١٦٢٤ لهُ : ١° في مكتبتنا الشرقيّة نسختان من كتاب تأمّلاتهِ الموسّع كلّ نسخة في ثلثة مجلّدات تاريخها سنة ١٧١١ و١٧٥٨ . منهُ نسخة ايضًا في مكتبة السريان في حلب . وفي مكتبة الشمّاس شكري أيوب تاريخها سنة ١٧٢٩ وهذا الكتاب النفيس قد طُبع في حلب في ثلثة مجلّدات سنة ١٨٦٦ وقد طبع قسمًا من مختصرهِ حضرةُ الاب انسطاسيوس جمجع . امّا معرّب هذه التأمّلات فهو الاب بطرس فرماج

اليسوعي . ٢ً وفي مكتبتنا الشرقيّة نسختان خطّيتان من كتاب الاب لويس الجمري «قلائد الياقوت في واجبات الكهنوت» من افضل الكتب لارشاد الاكليروس عرّبهُ الاب فروماج ايضاً . طُبع في مطبعتنا سنة ١٨٩٥

٢٩٧ ﴿جسمندي﴾ الاب هنري اليسوعي (P. H. Gismondi) المتوفى سنة ١٩١٤ . لهُ في مكتبتنا الشرقيّة جوابٌ على ١٩ سؤالًا لاهوتيًا عن النصرانيّة ومعتقداتها عرضها عليهِ احد علماء المسلمين . وتعريب الجواب «للراهب يوسف دريان الحلبي» تلميذ الاب جسمندي . وللاب المذكور عدَّة تآليف سريانيّة لاتينيّة منها غراماطيق ومنتخبات ومنها نشرهُ لقسم من اشعار القديس غريغوريوس القريزي المنقولة الى السريانيّة تتمّةً لما نشرهُ الاب بوليغ ثمَّ نخبة من مقامات عبد يشوع الصوباوي المعروفة بفردوس عدن . ومن مطبوعاتهِ في العربيّة تاريخ بطاركة الكلدان لماري بن سليمان وتاريخ عمرو بن متّى الطيرهاني مع ترجمتها الى اللاتينيّة وملحقات شتى طبع الاوّل سنة ١٨٩٩ والثاني سنة ١٨٩٦

٢٩٨ ﴿جلوان﴾ الكاهن ابرهيم السمّاني الابدياكن الماروني تلميذ المدرسة الرومانيّة ازهر في القرن الثامن عشر عرَّب عدّة تآليف : ١ً كتاب خطب للراهب الفرنسيّ تاودوروس جنّاديوس اسقف ويليا منهُ نسخة في مكتبة حلب للموارنة تاريخها سنة ١٧٣٠ . ٢ً ارشاد المعترف والمعرّف للاب بولس سنيري اليسوعي سنة ١٧١٨ في المكتبة المذكورة . ٣ً كتاب حوادث الاعتراف للاب خرستوفورس وينفا اليسوعيّ . منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيّة . ونسخة في مكتبة المتحف البريطاني في لندن (Suppl., n° 28) تاريخها سنة ١٧٢٣ ونسخة لدى الخوري بولس سباط (ROC. XVIII, n° 61 p. 243) وقد طُبع هذا الكتاب في دير طاميش سنة ١٨٥٨ . ٤ً تفسير المزمور ارحمني يا الله لايرونيموس الراهب الدومنيكي منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة ونسخة في مكتبة الموارنة في حلب . ٥ً وتأمّلات المعلّم انطونيوس ايرودوس سنة ١٧٢٣ . ٦ً عرّب عن الايطالية سنة ١٧٣٠ خطابات ادبيّة في ايضاح اربعين خديعة وكشفها - في المكتبة المذكورة

٢٩٩ ﴿الجمري﴾ القس سركيس بن بطرس من تلامذة المدرسة المارونيّة في رومية . لهُ في حلب في مكتبة الموارنة : ١ً مجموعة مواعظ تلاها من السنة ١٧٠٨

الى ١٧٢١ . ٢ً ولهُ فيها كتاب ظهور الايمان في معتقدات الكنيسة الكاثوليكيّة يقال في مؤلفه انهُ «القس سركيس ابن الشدياق بطرس ابن اخو (كذا) المطران سركيس الجمري وابن اخت الخوري جبرائيل الياس المدناني وابن بنت الخوري جبرائيل الذي استقام رئيساً على كهنة حلب ما ينوف من ٢٥ سنة وابن عمّ البطرك مار يوحنّا مخلوف». ٣ً مختصر علم الـذمّة . نسخة بخطّهِ في مكتبة الموارنة في حلب استخرجهُ من اللغة اللاتينيّة تاريخهُ سنة ١٧٤١ . ٤ً عرّب ١٣ عظة من عظات يولس السنيري (المشرق ١٧ [١٩١٤] : ١٠٠) . ٥ً وفي المكتبة المذكورة لهُ ترجمة غراماطيق اللغة الطليانيّة الى اللغة العربيّة اوقفهُ عليها سنة ١٧٤٥

٣٠٠ ﴿جنّاديوس﴾ البطريك القسطنطيني المدعوّ سابقاً جورج سكولاريوس المتوفّى نحو السنة ١٤٦٨ . في مكتبة الموارنة في حلب (ع٢٣٥) كتاب عقد الاتحاد في شرح وتفسير الحبس الواذ منقول من اللغة اليونانيّة على اسم جناديوس البطريك أُعطي هديّة الى طائفة الروم من المجمع المقدّس الموكّل في انتشار الايمان «ولم يُذكر اسم المعرّب وفي آخره كشف الاسرار في تقديس الاسرار (ص٣٨٤) كُتب في القرن السابع عشر . وقد نشرهُ العلّامة هامّر في مجلّة معادن الشرق (Mines de l'Orient, I, 461 et II, 105, 164, 316, 470) مباحثاته مع محمّد الثاني الفاتح في شؤون النصرانيّة وذلك في ثلاث لغات اليونانيّة واللاتينيّة والتركيّة

٣٠١ ﴿جنّاديوس﴾ تاودورس الاسقف الفرنسيسكاني مطران ويليا . لانعرف زمانه . لهُ : ١ً في مكتبة الرهبان البلديين في كفيفان مواعظ نسخها سنة ١٨٦١ الاب نعمة الله الكفري في مجلّد ضخم . ٢ً وفي مكتبة حلب للموارنة كتاب خطابات ادبيّة في ايضاح اربعين خديعة وكشفها عرّبها عن الايطاليّة سنة ١٧٣٠ الخوري ابرهيم بن جلوان اذ كان في مدينة طرابلس وهو كتاب مفيد لمعلمي الاعتراف

٣٠٢ ﴿جوستنيان﴾ الاب الكبوشي من مدينة طور (P. Justinien de Tours) كان مرسلاً في سوريّة في اواسط القرن السابع عشر . يُذكر لهُ : ١ً في مكتبة الرهبان الكبوشيين (Bibl. Script. Ordinis Capucinorum) نقلهُ لمعجم اوربي الى العربيّة والارمنيّة والتركيّة والكرديّة . ٢ً تعريب التعليم المسيحي . ٣ً تعريب كتاب الاب ميخائيل فابوري المشتمل على اجوبة اهل الكنيسة الكاثوليكيّة

على اعتراضات المراطقة . طُبع في رومية سنة ١٦٨٠

٣٠٣ ﴿جوليان﴾ الاب ميشال اليسوعي (P. Michel Julien) المتوفَّى في غزَّة كانون الثاني سنة ١٩١١ . عُرِّب لهُ وطُبع سنة ١٨٨٤ كتابهُ المعنون «سياحة حديثة في بلاد صعيد السُّفلى» . ونشر في جريدة البشير ومجلَّة المشرق عدَّة مقالات اثريَّة وعلميَّة واخلاقيَّة . وتاليفهُ في اللغة الفرنسويَّة متعدّدة مدار معظمها عن الشرق مثل كتابهِ عن وصف بعلبك وكتابهِ عن تاريخ رسالة الآباء اليسوعيين الحديثة في سوريَّة وغير ذلك لاسيَّما كتبهُ الرياضيَّة الشهيرة وخلَّف آثارًا تاريخيَّة وعلميَّة مخطوطة

٣٠٤ ﴿جوهر﴾ الياس من كتبة القرن العاشر . لهُ في مكتبة الفاتيكانيَّة (ع ٦٥٧) كتاب «وافقة الايمان بين اليعاقبة والنساطرة والملكيين» . وفي مكتبتنا الشرقيَّة في بعض مجاميعها تسبحة لله تعالى قالها «ايليا الجوهري الكلداني» يذكر فيها كمالاتهِ عزَّ وجلَّ ويبرز عن عواطف مختلفة من التواضع والاتكال على الله وطلب معونتهِ الخ

٣٠٥ ﴿جيرودو﴾ الاب بوناونتورا اليسوعيّ (P. Bonav. Giraudeau) المتوفَّى في ١٩ ايلول سنة ١٧٧٤ نشرت مطبعتنا الكاثوليكيَّة كتابهُ المعنون بالامثال الروحيَّة معرَّبًا بقلم المرحوم جرجس زوين سنة ١٨٦٧

٣٠٦ ﴿جيزو ماريا﴾ الاب الكرمليّ من مرسلي الكرمليين في القرن السابع عشر . عرَّب كتابهُ منخز الضمير السيّد ابرهام البطريرك الارمنيّ (لها بقية)

الانتقاد والدروس التاريخيَّة في سوريَّة

لحضرة الاب هنري لامنس اليسوعيّ

تجوَّل حديثًا رئيس المجمع العلميّ العربي في دمشق جناب السيّد محمَّد كرد علي في نواحي اوربَّة فساقهُ القدر الى اسبانية حيث سُرَّ باكتشاف الاندلس العربيَّة .

فلما عاد الى الفيحاء أسرع فنشر في مجلة المجمع العلمي العربي نتيجة ابحاثه في عدة مقالات تحت عنوان «غابر الاندلس وحاضرها» توالت في المجلة من أيار الى ايلول . فمن سرّح فيها البصر لا يسعهُ الّا أن يأسف على كونهِ لم يتمتع بهناء ورغد الاندلس في ايام العرب بل يشعر ببُعد القرن العشرين عن كمال ذاك العهد السعيد فيقنت خانعاً

كيف لا ويوقفنا كولمبس الاندلس على ما لم يدرْ بخلدنا فانهُ يكاد لا يجد في عصرنا اكتشافاً علمياً او اقتصادياً الّا ينسب اختراعهُ الى عرب الاندلس قبل ان يخطر على بال اساطين العلم في اوربة . مثالهُ فنّ الطيران . فانّ اليونان نسبوهُ في خوالي العصور الى «إيكار» الذي حلّق في الجوّ لكنهُ لسوء حظهِ بتقربهِ من الشمس ذاب الشمع اللاحم بين جسمهِ واجنحتهِ فسقط ميتاً على الحضيض . اما السيد كردعلي فيحرم ايكار من فضل سبقهِ فينسب اختراع فنّ الطيران الى ابي قاسم بن فرناس فيقول «انهُ اول من حاول الطيران من بني الانسان» ولعلهُ وجد في الاندلس آثار طيارتهِ فتهلل فرحاً لهذا الاكتشاف ولو راجع كتابنا «مدارج الترجمة الفرنسوية العربية» (ج ١، ص٨٩) لرأى اننا سبقناهُ الى ذكر هذا الطيّار قبل ثلثين سنة اذ نقلنا خبرهُ عن نفح الطيب للمقّري فوسمنا القطعة بعنوان «طيّار عربيّ» .

ومما رواهُ هناك من الاختراع لاهل قرطبة «انهم اول من عُني بتبليط المدن وكذلك إنارة الطرق في الليل عُرفت لاول مرة في قرطبة» ولو حدّق جناب السيد نظرهُ بدمشق وطنهِ لرأى الى اليوم آثار التبليط الروماني . ومثلها انطاكية كما روى يوسيفوس المؤرخ . اما انارة الطرق فيها فانهُ كان شائعاً في عهد الرومان . ولكن اين الرومان من عرب الاسلام في عين كاتبنا العصريّ !

وكم هناك ايضاً من التراجم التي لم يأنف السيد كرد علي من نسبتها الى اهل الاندلس كصناعة الزجاجة وعمل البارود والطباعة على الحروف (راجع المشرق السابق ص٩٠٧) . فيا لله كيف جهل العلماء هذا الفضل العميم بل أعموا ابصارهم عن هذه الشموس الساطعة ! فليحيَ كولمبس الاندلس ومكتشف عجائبهِ المجهولة

***

ولعلّ السيد كرد علي احقّ واصدق في انتقادهِ المطوّل الذي خصّهُ بكتابنا الحديث عن تاريخ سورية (اطلب عدد مجلة المجمع العلمي العربي ايلول ١٩٢٢ ص

٢٧١—٢٨٢) فشرّفنا بلحوظاته على ما كتبناه. ولأنه ينتهز الفرصة في مطاوي كتابته ليشعر القرّاء بأفكاره في تسطير التاريخ فلا بأس ان نعرض نحن ايضاً بعض الخواطر في الانتقاد التاريخي (١

واوّل ما يلزم المنتقد علمه انّ التاريخ لا يبلغ مداه بزمن محدود فهو احد العلوم التي لا تكمل نهائياً فيدخل في بنائه كلّ يوم عناصر جديدة تزيده كمالاً فلا عجب اذن ان يصيب رقياً متواصلاً. وانّما ينبغي على المنتقد اذا وقف على اثر تاريخي جديد ان يسبره بمعيار العقل ويحكم فيه حكماً مجرّداً عن رأيه الخاص برزانة شأن العقلاء.

وقد وجدنا السيد كرد علي يغلّب غير مرّة مشاعره على الحقيقة الوضعيّة. فلو لم يفتخر باصله من دمشق ولم يتولَّ ادارة المجمع العلميّ الدمشقي لعذرناه في نفوره من معاوية ومن بني امية فكاد يلومني (ص ٢٧٣) على ما صرفته من السنين الطوال لاثبات مفاخر تلك الدولة التي مدينة لها دمشق باعظم آثارها كما انّ سوريّة كلها اضحت بفضلها مدّة مئة سنة مركزاً للخلافة. فهو معاوية الذي رفع شأن الفيحاء فجعلها عاصمة لدولته بعد ان كانت كاحدى شقيقاتها السوريّة وقد حفظت رتبتها هذه الرفيعة حتى في عهد الدولة العباسيّة المعادية لاهل الشام والتي يفضلها السيد كرد علي على دولته الوطنيّة وقد يسرّني اذ اراني مدفوعاً بحكم الضرورة الى ان اذكّر جنابه بهذه الاحداث التاريخيّة

وقد لحظنا في مطالعة انتقاد السيد كرد علي انّه كثيراً ما يستند في مزاعمه الى سيديليو كأنّه اتخذه له دليلاً ومرشداً ولو دري لعرف انّ سيديليو هو اليوم احد الكتبة العتق الذي لا يتنازل احد المستشرقين لذكره او لتفنيده. ومثله في سعة معارفه الشرقيّة الدكتور لوبون الذي زعمت مجلة المنار المصريّة (١٩ : ٣٤١) انّه في مقدّمة المستشرقين الموثوق بهم وهي على خلاف ذلك (١٩ : ١٦٢) بخست قدر الدوق كايتاني احد ائمة العلوم الشرقيّة في عهدنا. فكفى بالاستناد الى مثل هؤلاء دليلاً على

١) وبهذه النسبة نشكر هنا الكتبة الذين تلطّفوا وانتقدوا تاريخنا بكل نزاهة نخصّ منهم بالذكر الكاتبين الاديبين والاستاذين في الجامعة الاميركيّة الدكتور فيليب حتي وقسطنطي زريق فاننا وجدنا انتقادهما كمثال يُقتدى به في وصف المطبوعات

قلّة بضاعة المنتقدين فانّ سيديليو جاهل متعنت ولوبون طبيب شهير وجّه نظرهُ الى الشرقيات فلم يُصب منها نصيباً وافياً . اما ميشو فـانّ ما كتبهُ سابقاً عن الحروب الصليبيّة كسدت اليوم تجارتهُ بعد نشر المؤلفات الضخمة التي قام بها العلماء الاثبات

اما كتبة العرب الذين يبـالغ السيد كرد عليّ في تعظيمهم فكلٌ يعلم ان رواياتهم لا يمكن الركون اليها الا بعـد مقارنتها بكتابات المؤرخين المعاصرين من الـلاتينيين واليونان والارمن . فلو راجع مجموعة تآليفهم التي تولّى نشرهـا مجمع العلوم في باريس لأخذ حذرهُ من اقوال بثّ بهـا حكمهُ جزافاً

ولسنا لنجهل انّ ذلك يستدعي معلومات خاصّة وابحاثاً طويلة الّا انّ الانتقاد لا يقوم الّا بمثل ذلك لمن شاء تزييف آراء غيره وتقويم عوجها . ولولا ذلك لضاعت فائدة المجامع العلميّة فيبقى اصحابها متقيّدين باوهامهم السابقـة بدلاً من ان ينفخوا روحاً جديدة في تبحثهم بتوسيع نظرهم وطلب الحقيقة في مظانّها

نعم انّ الـسيد كرد عليّ في كلامه عن الاندلس يشير الى نيّف وثلثين تـآليفاً (بينهم صديقهُ سيديليو) وعدّة مؤلفين اسبـانيين لكنني في شكٍّ من اطّلاعه عليها او ادراكه لمضموناتها وقد وجدتهُ في تفسيره للنصوص الافرنسيّة مخطئاً

ومن جملة ما اخذهُ عليَّ ذكري في تاريخي (١ : ٢٢٤) «لمطـامع صلاح الدين» فوجد اني تجاوزتُ حدود الانصاف بهذه الكلمة ومسـستُ شرف ذلك الرجل العظيم الذي بلغ على زعمه كالا هيهات ان يتزعزع به شائبـةٌ ما . فناشدتك الله أيهـا الـسيد المنصف بأي وجه يجوز ان تُنعت ما صنعـهُ صلاح الدين لمّا جرّد ابناء نور الـدين الايتام من وراثة والـدهم وليّه وسيده فاستبدّ بها ؟ وما قولك بخادم تأتمنهُ على مالك فيخونك فيه ويختصّهُ بنفسه أفلا تدعو عملهُ هذا مطمعاً ؟

كذلك لم توفَّق في عين المنتقد كلمتي عن الحروب الصليبيّـة اذ دعوتها بوقائع البسالة (héroïques aventures) (١ . كمـا انهُ لم يرضَ بقولي (١ : ١٦٦) عن تأثير الفقه الروماني بالفقه الاسلامي فقال «انها دعوى ادّعى بها البعض ولم يأتوا عليها

١) وقد نسب شيخ الاسلام احمد زيني دحلان في كتابه الفتوحات الاسلاميّة (٢ : ٤٣) الى الله عزّ وجلّ الحروب الصليبيّة وتبيّنة اسبابها وذكر هناك الآيات التي دفعت النصارى الى مباشرتها فليراجع

بحجة • واحالنا الى ما كتبهُ المرحوم الشيخ سعيد الشرتوني في المقتطف وهو الذي لم يشتهر بغير معارفهِ اللغويَّة ولم يُحسن معرفة لغــة اوربيَّة ونسي شهادة الاختصاصيين كفولدتسيهر وغويدي ونلينو ولعلَّهُ لم يطلّع على تآليفهم المثبتة لهذا التأثير(١ . ولا نظنُّهُ يردُّ شهادتهم وهو الذي قد ضمَّهم الى مجمعهِ العلمي واثنى على فولدتسيهر بعد وفاتهِ .

لكنني لأشكر جناب السيد كرد علي على ما كتبهُ عن ابن بطوطة (ص ٢٧٩) في اثناء كلامهِ عن ابن تيميَّة . فان هذا السائح لا يستحقّ ما ينسبهُ اليهِ البعض من القدْر (٢ وقد ادهشني صنيع لجنة بيروت الموكول اليهــا تعيين اسماء الشوارع اذ اطلقت اسم ابن بطوطة على بعض شوارعها . وعلى كلّ حال لا يُنكر ان علماء دمشق وفقهاءها هم الذين حكموا على ابن تيميَّة واضطرُّوهُ الى ان يقضي حياتهُ في الحبس . وعلى ما أرى انّ ابن تيميَّة كان مدفوعاً الى طلب الاصلاح بغيرةٍ خالية من الغرض . لكنَّهُ كان مخطئاً اذ كان يحكم بالموت على كلّ من كان يخالفهُ في رأيهِ

وقد عرف لبنان تعصُّب ابن تيميَّة يوم أفتى بمحــاربة جبل كــروان فدخلتهُ عساكر الدولــة المصريَّة سنة ٧٠٥ هـ فقتلوا ونهبوا واسروا (راجع تاريخ بيروت لصالح بن يحيى ٤٩—٥٠) . وقــد حذا حذو ابن تيميَّة تلميذهُ ابن قيّم الجوزيَّة في تعصُّبهِ فنالهُ مثلــهُ محنٌ كثيرة في دمشق . ومن عجيب امرهما انّ الوهابيين اليوم والمسلمين الارتجاعيين يتنازعون نسبتها اليهم . فندع للسيّد كرد عليّ ان يقضي بينهم وبين اي حزب كان الارتجــاعي أهو ابنُ تيميَّة وتلميذهُ او علماء دمشق الذين طارحوهما في السجن

***

وقد حان الوقت لتعريف خطَّة العرب التاريخيَّة وبيان مبلغهم من النقد الصحيح حتى اكبرهم شأناً كالطبري والبلاذري وابن سعد وصاحب كتاب الاغاني وغيرهم . فانَّ المستشرقين قد حكموا في ذلــك حكماً فصلاً منذ زمن مديد على خلاف

(١ اطلب في المشرق السابق (ص ٨٩٨—٩٠٣) مقالة الاديب لويس دي برون ردًّا على عارف بك النكدي في هذا العدد

(٢ راجع محاضرتنا المدونة La Vie Universitaire à Beyrouth sous les Romains et le Bas-Empire, *Le Caire*, 1921

الشرقيين . فانّ علماء اوربّة الأثبات قد صرّحوا — والامر اضوأ من الشمس — بانّ كتبة التاريخ عند العرب كالطبري وغيره ليسوا بحصر الكلام مؤرخين وانّما هم فقط اخباريّون يروون كاصحاب الحديث البخاري ومسلم وغيرهما ما سمعوهُ وبلغهم من الاخبار على علّاته واختلاف المرويّات المتباينة بل المتضادّة دون ان يحكموا في صحيحها او فاسدها

هذه مثلاً واقعة اليرموك فان راجعتَ ما كتبهُ فيها مؤرخو العرب توالت امام عينك صُحُفهم واحاديث رواتهم على طريقة مملّة مزعجة فلا ترى سوى قولهم «حدّث فلان عن فلان» وكلّ حديث يخالف ما سبقهُ وربّما نفاهُ من اصلهِ . فيُصبح القارئ في آخر الامر متحيّرًا مشوّشًا لا يدري شيئًا من حقيقة الامر . ولا ننكر انّ في ذلك نفعاً اذ به يتمكّن الخلَف من الوقوف على اختلاف آراء السلَف وانّما كان الواجب على المؤرخ ان يعمل هو في تلك المرويّات نظر الانتقاد فيفرز بين الغثّ والسمين وبين الباطل واليقين . فانّ هذه هي اوّل صفات المؤرخ لا سيما اذا كان معاصرًا للوقائع . وغاية ما يقال عن اولئك الكتبة الاقدمين انّهم اعدّوا لنا موادّ البناية وعلينا ينبغي ان نشيد البناء .

وان قيل هذا ما فعلهُ المؤرخون من بعدهم كابن الاثير وابي الفداء وابن خلدون . قُلنا انّ هؤلاء الكتبة لم يذكروا الامور كما وقعت وانّما حرّروها كما تصوّروها وشاعت في زمانهم بعد وقوعها بقرون عديدة واصبحت كرواية رسميّة تشوّهت بتنقّلها من راوٍ الى آخر بحيث يصعب الحكم في صحّتها .

وممّا يجب الاشارة اليه حتى في روايات الطبري وامثاله انّهم كتبوا تاريخهم نحو ٣٠٠ سنة بعد حدوث الوقائع فرووا احاديث لاخلاط الناس بينهم العالم والأمي والصادق والمتحزّب . ومن ثمّ يجب على الكاتب العصري ان يُعارض اقاويل كتبة العرب بما رواهُ غيرهم من الاجانب كاليونان والسريان والفرنج . فمن اراد في زماننا ان يكتب تاريخ الحرب الكونيّة فانّهُ لا يكتفي بما روتهُ الدول المتحالفة بل يقتضي عليه مراجعة ما يرويهِ الخصوم . وهذا ما توخّيناهُ في كتابنا تاريخ سوريّة

ومن ثمّ لا نرى السيّد كرد علي مصيباً اذ يعارض ما اثبتناهُ من الارقام (١ : ٥٦) عن واقعة اليرموك بارقام الطبري . وهي لعمري مسئلة تستدعي بعض

الايضاحات . فانّ للارقام في التاريخ العربيّ سراباً ربّما انخدع بهِ النظار فأدّى بهم الى اضلّ الضلال

***

وليست اوهام الارقام حديثة . فان يوسيفوس اليهودي في تاريخهِ زعم ان معاملة الجليل وحدها في فلسطين بلغت في عهد السيد المسيح عدّة ملايين من البشر . وعلى زعمهِ هذا قاس الصهيونيّون المحدثون زعمهم بان قسماً كبيراً من اليهود يمكنهم ان يستوطنوا فلسطين . والى رأيهم هذا جنح السير هربرت صموئيل المفوّض السامي البريطاني هناك . وكذلك زعم بعض السوريين انّ عشرين مليوناً من النفوس بل ثلثين ايضاً كانوا يسكنون في بلاد الشام على عهد الرومان

ولسنا لننكر انّ سوريّة في ذلك الوقت كانت اخصب منها اليوم بكثير وأنها لم تُصَبْ بما استولى بعد ذلك من الخراب على كثير من انحائها المخصبة فكان فيها المدن العامرة كالقيسريّة وافامية (١) ولاسيما انطاكية التي كان يبلغ عدد سكانها الى ٣٠٠،٠٠٠ وهي اليوم لا تزيد عن ٢٥،٠٠٠ الى ٣٠،٠٠٠ . وعلى خلاف ذلك كم من مدينة بلغت اليوم ضعفي وثلاثة اضعاف نفوسها سابقاً كدمشق وبيروت . فهذه جبال العلويين ولبنان التي كادت تكون قديماً خلواً من السكان يبلغ اليوم عددهم نحو ٦٠٠،٠٠٠ ولا نظنّ انّ العالم الالماني بلوك (Block) تجاوز حدود الحقّ بتصريحه انّ سوريّة في اوج رقيها على عهد الرومان لم يزد عدد اهلها على سبعة ملايين من النفوس . لا شكّ ان الوسائل الاقتصاديّة التي اتصل اليها اهل عصرنا تعين على توفير السكّان وإعاشتهم ولكن لنا ملء يقين بنموّ هذا العدد الى ان يبلغ ضعفيهِ . وسيرينا المستقبل الخبر الصحيح

امّا النتيجة من كلّ ذلك انهُ من الواجب اللازب على المتقدمين الّا ينخدعوا بالارقام . فان علم الاحصاءات من ادقّ الامور التي يستدعي التصرّف بها حذقاً عظيماً . كلّ يعلم ان غليوم الثاني الامبراطور الالماني السابق في النخب الذي شربهُ

---

(١) امّا معرّة النعمان التي زعم السيد كرد علي انّها كانت من امّهات المدن فانّ مؤرخي العرب تسمهم بدعوتها سوت لا تخالف ما دعوناها بهِ اي مدينة غير مهمّة (une bicoque) وانّما يطرئون خصبها فقط

بدمشق بلّغ عدد المسلمين في العالم ٣٠٠ مليون وكان السيّد كرد علي في ذلك الوقت في عنفوان الشباب فعلقت تلك الكلمة في قلبه حتى كرّرها في العدد الاخير من مجلّة المجمع العلمي (ص ٢٧٥) وابى ان يجري في هذا الاحصاء على آثار صاحب المنار الذي جعل عدد المسلمين ٣٦٠ مليوناً وبلّغهُ غيرهُ الى ٤٠٠ مليون . غير انّ ذوي الانتقاد من محبّي الاسلام نفسهم قد اثبتوا انّ عدد المسلمين لا يتجاوز مئتي مليون . فبيّنوا ان تبعة الشريعة المحمّديّة في الصين يتراوح بين سبعة الى ثمانية ملايين ليس ٣٠ الى ٤٠ مليوناً . وكانوا يحصرون سابقاً في مراكش ١٢ مليوناً فثبت بالاحصاء الاخير انهم ثلاثة ملايين فقط وكذلك المسلمون في الدرفور فانّ العدد الشائع سابقاً هبط من ثلاثة ملايين الى ٤٠٠،٠٠٠ نسمة ومثلها واداي (افريقية) كانوا يزعمون انّ المسلمين فيها ثلاثة ملايين ونصف وتحققوا اليوم انهم مليونٌ فقط . ومن اراد الوقوف على هذه الاحصاءات عليه بمجلة العالم الاسلامي الانكليزية (The Moslem World في عددها نيسان ١٩١٦ ص ١١٥ الخ والمجلّة الاسلاميّة الالمانية (Die Welt des Islams, 1914, p. 277) ومنها احصاء الاختصاصي الالماني وستومان . وكان المستشرق مرتين هرتمان احد المُعجَبين بالاسلام بلغ الى النتيجة ذاتها بعد الابحاث المدقّقة . امّا سبب هذا الاختلاف الكبير في الاحصاءات فنتيجة ناشريها بمعلومات حدسيّة وتخمينيّة لبعض السيّاح الذين كانوا يزعمون ان معظم الامم في افريقية الغربيّة والوسطى يدينون بالاسلام . فجاءت الابحاث الجديدة تُبطل هذه المزاعم الفارغة (Revue du Monde Musulman, XLIX, 124 sq) بل تثبت هبوط عدد المسلمين في بعض الانحاء . امّا البلاد التي هي واقعة تحت حكم الدول الاجنبيّة كالهند فانّ عددهم في نموّ لتوفّر الاسباب الاقتصاديّة والصحيّة فيها

ومن مبالغات السيّد كرد علي الظاهرة في مقالته عن الاندلس (ص ٢٢٨) انّها على عهد الحضارة العربيّة كانت تحتوي «اربعين مليون نسمة من ارباب الصنائع والعمل» (كذا) ويقابل بين عددهم هذا وعدد اهل اسبانية اليوم البالغين ٢١ مليوناً . ثمّ ألحق قولهُ «بالخمسة الالاف الف الف الف» (كذا) من الدنانير ٥،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠ التي خلّفها عبد الرحمان الناصر في بيوت امواله وهو مبلغ لم يحلم به اصحاب قصص الف ليلة وليلة وهذا كلّهُ على زعمهِ من النقود الذهبيّة (كذا) ومن المعلوم انّ مجموع نقود

الدول كلها في زماننا لا تبلغ الى عُشر هذا القدر وخزائن جميع الملوك لا يمكنها ان تحويهُ . فما قول السيّد كرد علي بهذه الارقام السحريّة !!

وقد أنف جنابهُ من قولي عن جيش الروم في واقعة اليرموك (١ : ٥٦) انهُ لم يزد كثيراً عن جيش العرب فدعنا نذكر بعض الارقام الخرافيّة التي يرويها مؤرخو الاسلام لينظر جنابهُ ايمكننا ان نستند الى اقوالهم في احصاءاتهم . قال الواقدي من مشاهير المؤرخين واقدمهم وعنهُ روى البلاذري في فتوح البلدان (ص ١٤١) انّ معاوية لمّا فتح قيساريّة « وجد فيها من المرتزقة سبعمائة الف ومن السامرة ثلثين الفاً ومن اليهود مائتي الف وكان يحرسها في كلّ ليلة على سورها مائة الف » ولم يذكر عدد النصارى الذين كانوا جلّ سكان قيساريّة في ذلك الزمان ومن ثمّ يجب القول ان اهل قيساريّة كانوا اوفر عدداً من عاصمة الانكليز حاضراً

فكل هذه ارقامٌ صبيانيّة لا يستطيع العاقل ان يركن اليها . ولذلك لم اسلّم للسيّد كرد علي بقوله ان الصليبيين قتلوا مئة الف من اهل معرّة النعمان فانّ المعرّة وما يلحق بها ... لم يبلغ سكانها هذا العدد لاسيّما ان اليعقوبي في كتاب البلدان (ص ١١١) ذكرها في القرن الثالث للهجرة وقال عنها « معرّة النعمان مدينة قديمة خراب واهلها تنوخ » . أمّا اليرموك فلو راجع جناب السيّد كرد علي تاريخ الروم في ذلك العهد لرأى في ايّ حالة كانت دولتهم بعد حرب دامت ١٥ سنة وانهكت قواهم حتى انّ هرقل الملك لمّا اراد محاربة الفرس لم يمكنهُ ان يجند اكثر من عشرة آلاف رجل وبهم فاز بالغلبة . أفيمكننا ان نوافق كتبة العرب بعد هذا ونسلّم لهم بان جيش الروم كان يبلغ في واقعة اليرموك مائتي الف جنديّ ? فتأمّل

اني اقف عند هذا الحدّ وأحيل جناب رئيس المجمع العلمي الى كتب ائمة المستشرقين كولهوزن وكايتاني لعلّها يقنعانهِ بما كتباهُ عن احصاءات العرب . وان اتّسعتُ في الكلام عن ذلك فنعلتُ تحذيراً للكتبة من هذه الروايات الفريّة التي ينخدع بها رجال من نخبة وطننا وارقاهم علماً وذكاء كالسيّد كرد علي . هذا واصون نفسي في الختام عن تكرار كلمة قالها متهكماً (ص ٢٨٠) : « انّ الغاية تبرّر الواسطة (١) » وأمّا اقول : « لا عصمة الاّ لله »

---

١) راجع مقالة المشرق (١٢ [١٩١٤] : ٤٢٣-٤٣٠) تفنيداً لهذا المبدأ المنسوب زوراً الى اليسوعيين فظنّ السيّد كرد علي انهُ يمكننا بذكره !!

تذكار الموتى في الكنائس الشرقيّة

نظر تاريخي لاهوتيّ للاب لويس شيخو اليسوعيّ

كنيسة المسيح وفروعها الثلاثة

يعلم المؤمنون ان كنيسة المسيح الواحدة الجامعة تُقسم على ثلثة فروع اي الكنيسة المجاهدة وهي المؤلّفة من ابنائها المجاهدين على الارض لخلاص نفوسهم ضدّ اعدائهم الثلاثة اي الارواح الشريرة عزاهما الله والعالم والشهوات . ثمّ الكنيسة الظافرة وهي مجموع النفوس الصالحة التي بعد عمادها وجهادها فازت باكليل الظفر فتتمتّع برؤيا الله وبالافراح السرمديّة . أمّا الفرع الثالث فتؤلّفهُ الكنيسة المتطهّرة اي النفوس التي تفي لعدل الله بقيّة دَين عليها لآثام سابقة غُفرت لها او لخطايا خفيفة مات الانسان ونفسهُ مدنّسة بها . فاذا سدّدت حسابها ووفت دينها تحظى بنعيم الابرار

وقد سبق لنا قبل عامين (المشرق ١٨ [١٩٢٠] : ٩٢٧—٩٣١) نشر مقالة عن الكنيسة الظافرة التي تقيم لها البيعة موسماً حافلاً في غرّة تشرين الثاني وهو عيد جميع القديسين . على انّ لهذا العيد ملحقاً ضربنا عنهُ الصفح اذ ذاك وفي فكرنا ان نعود اليهِ في فرصة سانحة نريد بهِ تذكار الموتى الذي تخصّ بهِ الكنيسة الرومانيّة اليوم التالي اي ٢ تشرين الثاني تفردهُ لذكرى ابنائها المتطهّرين . فايّاهُ قصدنا في هذه المقالة بمناسبة وقوعهِ قريباً من صدور هذا العدد من مجلّتنا

***

لو لحظنا حالة البشر عند انتقالهم من هذه الحياة الفانية لوجدناهم من حيث آداب سلوكهم على صور متباينة . فترى بينهم الرجل الصالح الصدّيق الذي قضى عمرهُ باعمال البرّ والرحمة واضحى قدوةً حيّة لاهل زمانهِ بممارسة الفضائل السامية طول حياتهِ فرحل والكلّ لسان واحد في اطراء قداستهِ والتمنّي بان تكون آخرتهم كآخرتهِ يردّدون مع القائل (عدد ٢٣ : ١٠) : « فلتمُت نفسي موت الابرار » . فذلك

احد اولياء الله الذين يسكنون جنانهُ ويخلدون في سمائهِ وبهم يستشفع الناس لكرامتهم عند خالقهم

ومنهم على خلاف ذلك الاشقياء الاشرار الذين عاشوا في اقتراف الآثام غمطوا نعمة خالقهم واوسعوا القريب ظلماً واستسلموا الى شهوات قلوبهم فاذا حصدهم الموت بمنجلهِ لا ترى احداً يرحمهم بل يشكر الله على نجاة العالم من شرورهم · فهؤلاء الأئمة الكفرة ينتظرهم ديّانهم لينالوا جزاء ما جنت ايديهم فيلقيهم مع الابالسة في عذابات الجحيم وجهنّم النار حيث لا امل للنجاة على مدى الادهار

ومنهم قوم وسَط عاشوا عيشةً مرضيّةً واستنكفوا من اعمال الاشرار وانما تالمهم شيء من شوائب عالمهم وإنْ سَلِموا من الكبائر لم يسلموا من اللمم والصغائر · ولعلهم اجترحوا شيئاً من الذنوب لكنَّهم تابوا عنها منيبين الى خالقهم وانما بقي عليهم شيء من تَبِعتها · فان ادرك الموت هؤلاء لا يرضى عدلُ الله بان يكون نصيبهم مع الاشرار الطالحين · كما انهُ لا يضمُّهم الى زمرة اوليائهِ القديسين وفي نفوسهم ما فيها من الادناس وان خفيفة لأن دار الخُلد «لا يشوبها شيء دنس» (الحكمة ٧ : ٢٥)

فتقتضي حكمة الله ان يطهّر هؤلاء من آثار خطيئتهم ويُرحضوا من تبعة آثامهم بعقاب زمنيّ حتى اذا وفوا ما عليهم من الدين لعدلهِ تعالى تُكفَّر اثامهم وتصعد نفوسهم الى الاخدار السماويّة · وهذا ما اتفق عليه كلّ ذوي العقول الصائبة من كلّ الاديان فجعلوا لتلك النفوس حبساً موقّتاً تفي بهِ عن جرائرها · وقد دعت الكنيسة الكاثوليكيّة هذا السجن الموقّت باسم المطهر ونعمّ الاسم المطابق للمسمّى · ولا بأس بان يُدعى باسم آخر على شرط بقاء المعنى كدار الوفاء وسجن الموتى ومقام التكفير وغير ذلك · وقد شاع عند المسلمين اسم عذاب القبر

اثبات حقيقة المطهر بالنقل وآيات الاسفار المقدسة

وما يدلُّ عليهِ العقل السليم يؤيده النقل وتقليد الكنيسة · فانَّ طوبيا الشيخ اوصى ابنهُ (٤ : ١٨) «ان يضع خبزهُ وخمرهُ على مدفن البار» وذلك تزكية لنفسهِ من شوائبها · وكذلك ارسل يهوذا المكابي الذي درهم فضّة الى اورشليم لتقدمة

ذبيحة عن انفس الذين سقطوا في ساحة الحرب بعد اختلاسهم شيئاً من الغنائم . فاستحسن الكتاب صنيعهُ وختمهُ بقولهِ (٢ مكابيين ١٢ :٤٦) : « هو رأي مقدّس تقوي تقدمة الكفّارة عن الموتى ليُحَلّوا من الخطيئة » فصرّح بانّ في الحياة الآخرة مكاناً تُغفر فيهِ الذنوب ويكفَّر عنها بتقادم المؤمنين

والى هذا السجن المطهري اشار السيّد المسيح بقولهِ كما فسَّرهُ الآباء (متى ١٢ : ٣٢) : « من قال كلمةً على ابن البشر يُغفر لهُ وامّا من قال على الروح القدس فلا يُغفر لهُ لا في هذا الدهر ولا في الآتي » فاستدلّوا بهِ على وجود مكان تفي فيهِ النفوس في الدهر الآتي ما عليها من العقاب لنوال المغفرة

وكذلك فسَّر الآباء كقبريانوس واوريجانس وايرونيموس قول الربّ (متى ٥ : ٢٥) عن « موافقة الانسان لخصمهِ ما دام معهُ في الطريق » لئلّا يُسلمهُ الخصم الى القاضي والقاضي الى الشرطي فيُلقى في السجن ولا يخرج منهُ حتى يوفيَ اخر فلس . قالوا انّ هذا السجن الذي يمكن الخروج منهُ بعد وفاء الدين هو محلّ تطهير النفوس

وفي رسالة القديس بولس الاولى الى اهل قورنتس (٣ : ١١—١٥) يذكر انتقاد اعمال الانسان يوم ظهور الربّ فتمتحن النار عملَ كل واحد ما ... أذهب او فضّة او حجارة كريمة او خشب او حشيش او تبن . «فمن احترق عملهُ فسيـ... لا انهُ سيخلص كما يخلص من يمرّ بالنار » . فالنار التي يمكن الانسان ان ينجو ...ها ليست نار جهنّم وهي ابديّة كما قال الربّ (متى ٢٥ : ٤١) و... هي ... . وقتيّة لتنقية الزلّات التي يمكن النجاة منها اذ قال عن الممتحن بها « انهُ سيخلص كمن يخلص من يمرّ في النار » .

واوّل من سبق من آباء الكنيسة اللاتينيّة فذكر حفلات البيعة وتقادمها لاجل الموتى ترتليانوس المعلّم في القرن الثالث للمسيح . فانهُ في كتابهِ عن وحدة الزواج (de Monogamia) «يذكر صلاة الزوجة لاجل راحة نفس زوجها المتنيح» (refri-gerium adpostulat ei) وتقادمها السنويّة يوم وفاتهِ (Migne, P. L., II col. 992) . ويكرّر مثل هذا في كتابهِ المعنون بالاكليل (pro Corona, ib. II, 99) فيقول عن لسان الكنيسة : «انّنا نقدّم القرابين عن نفوس الموتى كلّ سنة يوم انتقالهم (Oblationes pro defunctis pro natalitiis annua die facimus) وينسب ذلك الى تقليد سابق (traditio ibi prætenditur auctrix)

ومثلهُ معاصرهُ رئيس اساقفة قرطجنّة القديس قبريانوس في رسالتهِ الثانية والخمسين (Migne, P. L. III, col. 810-811) فانهُ يميّز ثلاث حالاتٍ بعد الموت كما فعلنا اي حال القديسين الذين يكلّلون حالاً بعد موتهم (Statim a Deo coronari) وحال الاشرار في عذابات الجحيم الابديّة. وحال المطهر حيث يتطهّر الانسان بالنار (purgari diu igne) قبل ان يفوز بالمجد السماوي . ويقول هناك انّ الكنيسة يمكنها ان تسعف هذه النفوس المتطهرة بما تقدّمهُ لاجلها من الصلوات وبتقدمة الذبيحة المقدّسة على نيّتها

ومثلها في القرن الخامس معلما الكنيسة الكبيران القديس امبروسيوس رئيس اساقفة ميلانو والقديس اوغسطينوس اسقف ابونة فانهما يصرّحان بوجود عذاب موقّت وهو النار لرحض النفوس من بقيّة آثامها قبل حظوتها بالفردوس. وذلك في شرحهما لآية بولس الرسول السابق ذكرها فقال امبروسيوس (Migne, P. L., XVII, col 112) «بيّن الرسول في هذه الآية انّ ذلك الميت سينال الخلاص لكنّهُ يعذّب بالنار التي ستطهّرهُ» «ostendit quidem salvum illum futurum, sed pœnas ignis passurum, ut per ignem purgatus, salvus fiat» . وقال اوغسطينوس في تفسيرهِ المزمور السابع والثلثين : «طهّرني يا ربّ في هذه الحياة فلا احتاج الى تلك النار المنظّفة المعدّة لاولئك الذين يخلصون كمن يخلص بالنار

ولا يخالف الآباء الشرقيّون معلمي الكنيسة الغربيّة فانهم يذكرون مثلهم حالةً وسطى بين السماء والجحيم تجتاز بها النفوس المحتاجة الى تكفير وتطهير. فانّ القديس ديونيس الاريوباجي في كتابهِ عن سموّ الرئاسة الكنسيّة . يذكر صلاة الكاهن الى الجودة الالهيّة لتغفر للمتنيّح خطاياهُ التي اجترحها من قِبَل الضعف البشري فينتقل الى الضياء ومكان الحياة الخالي من كلّ حزن وألم» . ويقول في محلٍ آخر «انّ تلك التقادم والصلوات لا تفيد نفوس الاشرار شيئاً» دلالة على الهالكين الى الابد

وقد افادنا اوسابيوس ابو التاريخ الكنسيّ في حياة قسطنطين (ك ٤ ص ٧٠) «إنّ الكهنة والمؤمنين تقاطروا عند المذبح حيث عُرضت جثّتهُ للصلاة عن نفسهِ»

ومن أقدم آباء الكنيسة الشرقية في اواسط القرن الرابع القديس كيرلّس الاورشليمي في شروحه للمعتقدات المسيحية (Cyrillus Hieros., *Migne*, P. G. XXXIII, col. 1116) يقول انّ الكنيسة بعد ذكرها للقديسين «تقدّم الذبيحة لاجل الآباء والاساقفة وكلّ المؤمنين الراقدين بيننا لعلمنا انّ صلاتنا لاجلهم تفيد نفوسهم افادةً عظيمةً»

وفي ميامر القديسين الثلاثة الاقمار عدّة نصوص تؤيّد هذه الحقيقة . فان القديس يوحنّا فم الذهب وغريغوريوس الثاولوغوس في شرحهما لآية بولس السابق ذكرها يصرّحان باجلى بيان عن وجود نار مطهّرة ينجومنها بعد حين الذين لم يتمّ تكفيرهم عن خطاياهم . وقد ذكر يوحنّا فم الذهب في شرحه هناك محرقات أيوب البار (سِفره ١: ٥) عن ابنائه ليقدّسهم فاردف قائلاً : « اينكنّا بعد ذلك ان نرتاب في مفعول صلواتنا وتقادمنا لاجل الموتى . فلا نحرم اذن من هذا الاسعاف اولئك الذين فارقونا» (Migne, P. G.,LXI, col. 361) . وقد اعاد قوله هذا في شرحه على رسالة القديس بولس الى اهل فيلبي حيث يقول « انّ الرسل وضعوا الصلوات لاجل الموتى لانّ ذلك يأتيهم باسعاف عظيم وفائدة كبيرة (Migne, LXII, col, 197)

لا بل افادنا معاصرهُ القديس ابيفانيوس انها كانت عادة مألوفة في زمانه ان تُذكر في الكنيسة اسماء الموتى الذين تقدّم الذبيحة لاجلهم (Epiphane, *Panarion* III, II, 21)

ولنا في الكنيسة السريانية شهادة ملفانها العظيم القديس افرام الذي في ميمره الثالث على سحق الكبرياء يقول: « أما يخطر ببالك تلك النار التي سنمرُّ فيها جميعنا فاذا اجتزنا فيها دون معاب نعرف ذواتنا فان ذلك اليوم سيوضح حالة كل واحد كما جاء في الكتاب «انهُ بالنار يختبر » . وقد طلب من اخوته في وصيته الاخيرة «ان يشيّعوا جسدهُ بتلاوة الصلوات وترتيل المزامير »

المطهر في الآثار النصرانية القديمة

انّ الاثريين في هذه القرون الاخيرة قد استخرجوا من باطن الارض آثاراً عديدة تنطق باعتقاد النصارى الاوّلين للمطهر وفائدة الصلوات والقرابين لاجل راحة نفوسهم

فمن ذلك عدّة تماثيل وصور ونقوش على نواويس الموتى تبيّن لاول وهلة غاية مصوّريها ليذكرهم الاحياء ويصلّوا لاجلهم فترى هناك ما يدلّ على محن النفوس ونجاتها منها كنوح في الطوفان ويوسف في السجن والاسرائيليّين في اجتياز بحر القلزم ويونان في فم الحوت ودانيال في جبّ الاسود وسوسنّة في ايدي المفترين . فما اختار المصوّرون تلك الرسوم الّا للدلالة على ضيقة النفوس في العالم الآخر وتحريك الناظرين اليها للصلاة عن اجلهم

وكثيراً ما ترى في ديابيس رومية كتابات على قبور الموتى تستمدّ الصلاة عن لسانهم لراحة نفوسهم وتبريد اوجاعهم والسلام لارواحهم والغفران عن آثامهم . وليست الادعية المرقومة هناك سوى دليل صريح على هذا المعتقد . فعلى كلّ قبر تجد اقوالاً كهذه : « فليرقد الميت بالسلام . فليحيَ بالسلام . فليترح بسلام الربّ . فلينل الراحة الابديّة . فليحظَ بتبريد النفس والنور الابديّ . فليقاسم الملائكة نعيمهم . فليكن مع الله . ارحم يا ربّ عبدك فلان . بشفاعة امّ الله او الشهيد فلان اصفح يا ربّ عن آثام فلان المتنيّح »

ومثل هذه الكتابات أُلوف مؤلّفة وُجدت حيثما كانت النصرانيّة قد انتشرت في رومية وايطالية في جنوبي وشرقي فرنسة في انحاء مصر في اصقاع افريقية في سواحل الشام في بلاد الاناضول واليونان يتألّف من مجموعها مجلّدات ضخمة وهذا لعمري من اعظم البراهين لاثبات معتقد الكنيسة الجامعة بالمطهر

الليترجيات الكنسيّة

هذا دليل آخر يرتقي الى اوائل النصرانيّة . معلوم انّ تقدمة الذبائح والصلوات الطقسيّة شاعت في الكنيسة منذ عهد الرُّسل وان اختلفت بعدهم صورةً وهيأةً لم تختلف جوهراً ومعنًى . والحال لو استقريتَ هذه الليترجيات الغربيّة والشرقيّة معاً وجدتها كلّها متّفقة في معتقد حالةٍ متوسّطة بين السماء والجحيم تقضي فيها النفوس زمناً معلوماً ريثما ترحض ما عليها من الذنوب فتصلّي الكنيسة الى الله وتستشفع بالقدّيسين لتنجوا من عذابها وتحظى بالنور والراحة الابديّة

وللكنيسة الرومانيّة صلوات يوميّة لاجل الموتى يردّدها الكاهن في القدّاس في وقت التقدمة للآب الازلي ثمّ بعد كلام التقديس اذ يقول : « اذكر يا ربّ عبيدك

ولاماتك الذين سبقونا بسمة الايمان وهم راقدون رقاد السلام . نسألك يا رب ان تجود على هؤلاء وعلى جميع الراقدين بالمسيح وتنحهم متعطفاً مقرَّ الراحة والنور بالمسيح ربنا »

أمّا الكنيسة اليونانيّة فانّها بصلواتها لاجل الموتى تُعلن معتقدها في المطهر وفي فاعليّة الصلاة والذبيحة في تليين اوجاعهم وخلاصهم . فقد جاء في ليتورجيّا القديس يوحنّا فم الذهب : « ايضاً نقرّب لك هذه الذبيحة النطقيّة من اجل المتنيّحين بامانة الاجداد والآباء . . . وروح كلّ صدّيق توفّي على الامانة »ثمّ تتبعها بقولها : « من اجل مسامحة نفس عبدك (فلان) وراحتها في مكانٍ نيّرٍ حيث عدم الوجع والتنهّد فنيّحها يا رب وأرِحها حيث يُشرق نور وجهك »

وفي ليتورجيا القديس باسيليوس مثل هذه الصلاة تتقدّم عليها قولها : « اذكر يا رب جميع المتوفين على رجاء قيامة الحياة الابدية »

وان اعتبرنا صلوات التجنيزات في الافخولوجيون الكبير وجدنا من الشواهد ما تقصر عن ذكرهِ صفحاتنا سواء قيلت الصلوات عن نفوس العلمانيين او الكهنة او الرهبان فانها لا تختلف في اعتقاد وجود الموتى في محلّ التطهير وفي قوّة الصلوات لنجاتهم كفى بذلك الصلاة الآتية :

« يا إله الارواح والاجساد كلّها . يا من وطئتَ الموت بالموت وابطلتَ قوّة الشيطان ومنحت الحياة للعالم انت يا ربّ نيّح نفس عبدك هذا الراقد في مكان نيّر في موضع خضرة في مقرّ راحة حيث زوال الشدّة والحزن والتنهّد وبما انك صالح ومحب البشر اغفر له كلّ خطيئة فعلها بالقول او بالفعل او بالفكر لان ليس انسان حيّاً ولا يخطئ الا انت وحدك بريئاً من الخطإ وعدلك عدل الى الابد وقولك حقّ لانك انت هو الحياة والقيامة والراحة والنياح لعبدك الراقد أيها المسيح الهنا »

وتتفق الكنيسة الارمنيّة مع الكنيسة اللاتينيّة واليونانيّة في ايمانها بحالة النفوس المتطهرة وبالصلاة وتقدمة القرابين لاجل خلاصها . وهي تخصص لذكرها بعض الأيام كسحر سبت المرفع وسحر سبت العنصرة . فما يتلوهُ الكاهن هناك :

« أيها السيّد المسيح نيّح نفوس شعبك المؤمن الذين بالامانة قضوا الحياة على انواع شتّى وفي كلّ مكان وبلاد واتقذهم من العقوبات المرّة التي في الجحيم . . . نعم أيها الرب من آلامهم الذين انتقلوا منّا يا أنك محب البشر وذكّر صكّ خطاياهم يا من طعن جنبك بحربة فأحصنتا وامنحهم لياء قديسيك وأسكنهم في النعيم الابدي . . . ارحمهم يا الله عند ما تجازي كلّ احد باثاره

ولا تشذّ عن الكنائس السابقة الكنائس السريانيّة اي السريان والكلدان والموارنة فانّ كتبهم الطقسيّة مشحونة بذكر الموتى والصلاة لاجل نفوسهم ليفوزوا بالراحة الابديّة . فما تنشده الكنيسة السريانيّة في طقوسها قول مار افرام نقلاً عن مداريشه :

انّ الايمان يضطرّنا ان نذكر موتى اليمة في الصلاة والقرابين والصدقات وقد اوصى المسيح كنيسته ان لا تُغفل ذكرهم بل تزوّدهم زاداً صالحاً هو الغفران والصلوات وتبتهل الى ربّ الكل ان يورثهم الملكوت

وهي تترنّم بقولها ايضاً :

ان كان القضيب المقطوع ينتعش براءحة الماء والتربة ثم يفرخ ويثمر فكم بالحري يعود الموتى الراقدون بالمسيح الحياة ويبتهجون براءحة جسده ودمه

وكذلك نقلت الكنيسة السريانيّة في صباح جمعة الموتى وجمعة الغرباء هذه التسبحة من علّامتها الكبير يعقوب السروجيّ الملفان :

من اشتاقت نفسهُ بمحبّة تعالى عليه ان يُبدي محبّتهُ للميت ولا ينساهُ ويورد ذكرهُ امام الله في الهيكل المقدّس بواسطة القرابين والتذكارات والصلوات . وغنيّ عن البرهان انّ الموتى ينتفعون من القرابين التي يقدّمها الاحياء كما ورد في سفر المكابيين . . . ان جميع الموتى يستنشقون الحياة من الانبثاث الصادر من جسد ابن الله وينالون المغفرة

ومثل هذه التذكارات والصلوات لراحة الموتى كثير في طقوس الكنيسة المارونيّة فانها تكرّر في قدّاسها وفرائضها وجنازاتها مراراً ذكر الميّتين وتستعطف مراحمهُ تعالى لاجلهم لينقذ نفوسهم من اوجاعها ويشركها بافراح القديسين

وممّا تتلوهُ الكنيسة القبطيّة في ليتورجيّتها قولها :

« اذكر يا ربّ انفس عبيدك اباءنا واخوتنا الراقدين . . تفضّل يا ربّ نيّح انفسهم اجمعين في حضن آبائنا القديسين . أحلّهم في موضع خضرة على ماء الراحة في فردوس النعيم حيث يزول كل وجع وكآبة وتنهّد في نور قديسيك وانعم عليهم بالخيرات التي لم ترها عين ولم تسمع بها اذن ولم تخطر على قلب بشر . . . فان كان لحقتهم توانٍ او كسل بما انهم بشر يلبسون الجسد فاغفر لهم أيها الصالح ومحبّ البشر فانّهُ ليس احد طاهر من دنس ولو كانت حياتهُ يوماً واحداً على الارض . فاذ قبضت انفسهم نيّحهم وليستحقّوا ملكوت السماوات »

وعلى هذا المنوال تجري الكنيسة الكلدانيّة فكفانا ان نروي بعض الشذرات من كتاب التنزيلات لمار ايليّا الثالث المعروف بابن الحديثي ابي الحليم جاثليق الكلدان قال :

فليتمنَّ الرب المتوفَّى فلان برحمتهِ ورضوانهِ ، ويشمل عليهِ بعفوهِ وغفرانهِ ، ويلقاهُ بالصفح الجميل ، والعفو الجزيل ، رضي الله عنهُ وزكَّاهُ ، وطيّب تربتهُ وثراهُ ، واكرم منقلهُ ومثواهُ ، واناله من رحمتهِ اوسعها وافضلها ، ومن مغفرتهِ اجلّها واكملها ، ورحمهُ رحمة تقرّبهُ منزلة الابرار ، ورضي عنهُ برضاهُ فحلَّهُ مع المصطفين الاخيار ، فاذكروهُ بالرحمة والمغفرة عقيب صلواتكم ، فقد كان في حياتهِ يطلب من الله سبحانهُ من اجلكم وهو الآن يلتمس صالح ادعيتكم وطلباتكم ، فادمنوا تقدمة القرابين عنهُ وعن امواتكم ، واذكروهُ في كلّ حين في صلواتكم فما اعظم فضيلة القربان ، فانهُ تعالى بجودهِ يتقبلهُ منكم كما تقبّل رائحة البخور ورسم الانسان حين قرّب لهُ نوح قربانهُ بعد الطوفان . . .

فنكتفي بهذه الشواهد دليلاً لامعاً على اتفاق كل الكنائس في عقيدة وجود مكان للتطهير في العالم الآخر تمرّ بهِ النفوس لتتنقّى من بقايا آثامها . وهي تفنّد في الوقت ذاتهِ ضلال الذين ينكرون هذه العقيدة كالشيع البروتستانية وغيرها وتفحم الزاعمين زوراً انَّ الكنيسة الرومانية هي التي اخترعت وجود المطهر

ويتّضح من هذه النصوص ليس فقط وجود مكان تُمتحَن فيه نفوس الراقدين ولكن قدرة الكنيسة والمؤمنين الاحياء في مساعدة تلك النفوس بما يُقدّم على نيّتها من الاعمال الصالحة كالصلوات والصدقات ولاسيّما القرابين والذبائح المقدّسة . فانَّ في يد الكنيسة كنزاً لا ينفد من استحقاقات آلام السيّد المسيح والعذراء الطاهرة وجميع الشهداء والقديسين يمكنها ان تقدّمهُ لله تكفيراً عن ذنوب ابنائها المتنيّحين . وما الغفرانات سوى قسم من هذا الكنز الثمين وبرض من الينبوع الغزير الذي تستقي منهُ لتنال من مراحمهِ تعالى تخفيف اوجاع ابنائها ونجاتهم من عذابات المطهر

امَّا انواع هذه العذابات ومدّتها فهي مسائل لم نتعرّض لها . وما لا ينكر ويظهر من الشواهد السابقة انَّ تلك العذابات أليمة جدًّا بعضها . وحيَّة كخلوّ النفوس من النظر الى الله ومنها . اذيّة في جملتها يترجّح عذاب النار وان لم يكن ذلك من الايمان

فما احرانا اذن نحن اخوتهم وابناء كنيستهم ان نمدّ اليهم يد المساعدة ولعلّ بينهم الاقارب والاصحاب والذين كنَّا نحن سبب خطيئتهم فانَّنا بالكيل الذي نكيل لهم يُكال لنا وكما نذكرهم عند الله سوف يذكروننا بازاء عرشهِ تعالى يوم محنتنا (١

---

(١) اطلب رواية مؤثرة وقعت في القرن الماضي سنة ١٨٥٩ تثبت وجود المطهر والآمهُ وعذاباتهِ وطريقة اسعاف النفوس المعذَّبة فيهِ (رسالة قلب يسوع ص ٣٣٨).

فلا نصمّن اذن سمعنا عن ندائهم ولاسيا في هـذا اليوم المعيَّن لتذكارهم وفي كلّ الشهر تشرين الثاني اذ نزور قبورهم ونسمعهم يرددون من بطنها بلسان حالهم كلمة أيوب البار (١٩ : ٢١) «ارحمونا ارحمونا انتم اخلاءنا فانَّ يد الربّ قد مسَّتنا»

مطبوعات شرقيَّة جديدة

LES LETTRES fondées en 1913, 1er *Oct.* 1922 *Paris*, 4 *Brd des Italiens*

مجلَّة الاداب

هذه المجلَّة الفرنسويَّة كان انشأها بعض علماء الكاثوليك سنة ١٩١٣ للبحث في كلّ المسائل العصريَّة يديرها الكاتب المُجيد كايتان برنوڤيل (Gaëtan Bernoville) وقد اطلعنا على بعض اعدادها فوجدنا فيهـا مقالات ممتعـة في عدَّة امور يبادر الى درسهـا ادباء عصرنا منها الفصول الاجتماعيَّة والمقالات الادبيَّة والابحاث التاريخيَّـة والكتابات الانتقاديَّة والروايات اللطيفة وكلّ ذلك بقلم بعض العلمانيين من مشاهير الكتبة العريقين بالعلم والدين معاً. فلا يسعنا الَّا ان نثني على هذه النشرة وكتبتها ونتمنَّى نشرها في اصقاعنا ل. ش

ЕДИНСТВО ВО ХРИСТ

الوحدة بالمسيح للاب دربيني (d'Herbigny) اليسوعي

طبع في مدينة براغ سنة ١٩٢٢ (ص ٣٦)

الثانية من هذه الكتيب الروسي الموجَّه الى الصقالبة المنفصلين عموماً والى الروس خصوصاً استلفاتٌ انظارهم الى وحدة الكنيسة التي أسسها السيد المسيح وضرورة السعي الشديد في التفنُّز بغيتها والانقياد الى تعاليمها الخلاصية. ففي الصحائف الاولى يصرّح المؤلف بلزوم التحابّ والتفاهُم وقد ضربت الحرب الكبرى مثلاً هائلاً

لما يولده التباغض وسوء التفاهم من شر الويلات ثمّ يتطرّق الى بيان كون فادينا الالهي اراد توحيد كل الشعوب وضمّ شتاتها في عائلة كبرى هي الكنيسة المسيحية. ويشرح كيف افضى حب السيادة السياسية بكنيسة القسطنطينية الى شقّ عصا الطاعة للحبر الروماني واعلان استقلالها عنه. ويبرهن على ان هرطقات لوتيروس وهنري الثامن وغيرهما قد حدثت وانتشرت على نفس المنوال المذكور. وذلك ايضاً ما مهّد السبيل الى نشأة كنائس قومية عديدة استقلّت عن كرسي القسطنطينية في الجيل التاسع عشر.

اخيراً يصف العلاجات الشافية للانشقاقات المحزنة بين اعضاء العائلة المسيحية. وهي اولاً الابتهال الحارّ الى السيد المسيح، ثانياً البحث عن الحقيقة ومشيئة الله مع نبذ المطامع الشعبيّة والاغراض الشخصيّة، ثالثاً درس التاريخ الكنسي الشاهد ابلى شهادة على اعتراف الشرق المسيحي وعلمائه واساقفته وبطاركته ومجامعه طول الاجيال العشرة الاولى حتى انشقاق فوطيوس، بسيادة الحبر الروماني المطلقة على الكنيسة جمعاء دون تمييز بين الشرق والغرب

امّا الادلة التاريخيّة الكثيرة في هذا الكتيّب فهي واضحة قريبة الى الافهام مسوقة الى القارئ بعبارة سهلة خالية من شوائب التعقيد الاب رفائيل نخله

لماذا صرتُ كاثوليكياً

تأليف حنا افندي ميتا

طُبع في المطبعة المصرية بمصر القاهرة سنة ١٩٣٠ ص ٤٣

مؤلف هذا الكتاب النفيس هو القبطي القبطي الارثوذكسي حنا ميتا المهتدي من عهد قريب الى الايمان الكاثوليكي القويم. وقد توخّى بوضع هذه الصحائف ارشاد اخوته الاقباط المنشقين الى جادّة الخلاص الوحيدة التي من عنيه الرحمان بالاهتداء اليها. قال بادئ بدء ان التشابه العظيم بين طقوس الاقباط الكاثوليك والاقباط الارثوذكس حثّه على البحث عن جدارة كل منهما بالتصديق والانضواء اليها. ثم اكتشف في صلوات القداس الارثوذكسي فقراً لا تنطبق الّا على الكنيسة الكاثوليكية. ورأى كثيراً من هذا القبيل في عدة طقوس كنيسته الاصلية وسنكسارها وقوانين مجمع نيقية التي هي دستورها حتى اليوم. فاستدلّ بكل ذلك

على ان كنيسة القبط الارثوذكس ليست سوى فرعٍ سقط في الجيل الخامس من دوحة الكنيسة الحقيقية الكاثوليكية. ثم خاض في تاريخ هذا الانشقاق الذي جرى على يد اوطيخا والبطرك ديوسقوروس المجاهرين بوحدة الطبيعة في المسيح، تلك العقيدة الكاذبة التي افضت بهم الى الانفصال من الكثلكة. فبيّن بالبراهين اللاهوتية والفلسفية البيّنة الواضحة رغماً عن ايجازها، بطلان تلك البدعة اللاشية لسر الفداء كل اللاشاء. اخيراً اشار في خاتمته الى اهتداءات عدد عديد من اعاظم الرجال من الكنائس المنشقّة الى الكثلكة. ونفى بالادلة الدامغة إمكان تسرُّب ايّ ضلال في عقائد الكنيسة الكاثوليكية ودحض اعتراضات الارثوذكس على النفرانات وعصمة البابا من الخطأ

وبالاجمال ان هذا الكتيّب على صغر حجمه غزير المادّة قوي الحجة فصيح العبارة بل رشيقها. ولذلك يليق اقتناؤه ولاسيا بالكهنة الكاثوليك الذين بينهم وبين اخوتهم المنفصلين علاقات وثيقة العرى ر. ن

تاريخ حيفا

تأليف جميل البحري صاحب المكتبة الوطنيّة ومجلّة الزهرة في حيفا

طُبع في حيفا في المطبعة الوطنيّة سنة ١٩٢٢ (ص ٥٨)

احسن جميل افندي البحري بنشر تاريخ حيفا ويا ليت الكتبة الوطنيّون يحذون حذوه فيتحفونا بتاريخ بقيّة مدن فينيقية ومدن الشرق. وممّا يزيد فضل هذا التاريخ انَّ حيفا احدى المدن الخاملة الذكر التي قلّما لعبت في سالف الازمنة دوراً مهماً فجمع صاحبهُ ما تيسّر له من اخبارها وآثارها. ولعلّهُ كان استفاد من مقالة عنوانها «حيفا ماضيها ومستقبلها» نشرها في المشرق (٧ [١٩٠٤] : ٦٨-٧٣) حضرة الاب الكرملي ماري جوزف وفيها عدّة معلومات لم يقف عليها صاحب التاريخ الجديد. وممّا لا يوافقهُ عليه علماء الاسفار المقدّسة ان «حيفا» هي «اكشاف» المذكورة في سفر يشوع. والرأي الرجح في عهدنا انّ اكشاف هي تل ياسف شمالي شرقي عكّا. وقد احسن الكاتب خصوصاً في وصف حيفا الحاضرة فاشتمل وصفهُ كلّ احوالها المادّيّة والادبيّة والدينيّة. وقد ختمهُ ببعض صفحات عن تاريخ جبل الكرمل المشرف على حيفا. ولنا الامل انهُ سيطبعهُ

ويزيده كثيراً في طبعة ثانية . ومن بعض اغلاطهِ اسم «ابو دهاب» يريد ابا الذهب قائد الجيوش المصريّة
ل . ش

بطل لبنان يوسف بك كرم

رواية تاريخية ذات خمسة فصول بقلم ميشال يوسف الحايك

طُبع في بيروت بمطبعة الاجتهاد سنة ١٩٣٢ (ص٩٦)

للروايات التمثيلية تأثير عظيم في نفوس الذين يحضرون تشخيصها وهذا ما يقتضي حُسن انتخابها والحياد عن كلّ ما يثير في النفوس الشهوات الباطلة . وافضل ما يُختار لذلك الروايات التاريخيّة التي تمثّل مآثر الاجداد وفضائلهم الدينيّة والمدنيّة . وهذا ما دفع جناب الاديب ميشال يوسف الحايك الى وضع روايةٍ ضمّنها شهامة احد اللبنانيين في الدفاع عن حقوق وطنه يوسف بك كرم فصوّر مروءته تصويراً شائقاً يرتاح اليه اهل لبنان ويبعث فيهم النخوة للدفاع عن حمى جبلهم بعد ان فازوا بما كانوا يتشوّقونهُ من انتداب فرنسة على سوريّة
ل . ش

سواغ الفكر في ما يسامي العشق من عبر

تأليف الدكتور سليمان غزاله

طُبع بمطبعة المروى بطهران سنة ١٩١٥ (ص١٢٣)

جناب الدكتور سليمان غزاله احد مشاهير العراقيين والنائب العثماني بمجلس صحّة ايران حكيمٌ نطاسيٌّ واديب وفيلسوف معاً فاراد ان يخصّ نظرهُ بالعشق من وجوههِ هذه الثلثة فهو يبيّن خواصهُ وميزتهُ ويعلن شرورهُ وآفتهُ ويحذر من تبعتهِ وعاقبته فنثر في ذلك حكميّات اخلاقيّة ادبيّة فلسفيّة بعضها نثريّة وبعضها شعريّة وكلّها مفيدة لارشاد الشبية وتهذيب الناشئة التي كثيراً ما تنخدع بظواهر العشق فتندفع اليه اندفاع الجياع على القصاع . فعليهم ان يعملوا النظر في مضامين هذا الكتاب ليسترشدوا بحكمه
ل . ش

ترقي الصغار في دروس الاستظهار

جزءان جمعها وعلّق حواشيهما يوسف صفير

طُبعا في بيروت سنتي ١٩٢١ و١٩٢٢ ص ٦٤ و٩٥

ليس الاديب يوسف افندي صفير صاحب مكتبة المدارس ورّاقاً وكتبياً فقط بل يُحسن ايضاً انتقاد المُلح التي يجدها في كتبهِ لينشرها ويفيد بها ناشئة المدارس . وكتابهُ هذا ترقي الصغار في دروس الاستظهار شاهد جديد على جودة ذوقهِ فانهُ ضمَّنهُ كثيراً من المقاطيع النثريَّة والشعريَّة المقتطفة من كتبة العصر مما يُسَرّ بهِ الاحداث فيستظهرونهُ بكل لذَّة . وزاد على ذلك فضلاً بما علّقهُ على كلّ قطعة من تفسير الالفاظ الغامضة ومن النتائج الادبيَّة التي تُستفاد منها لترويض اخلاق الناشئة . والجزءان مضبوطان بالشكل الكامل الذي يحتاج في طبعة ثانية الى بعض التنقيح

تذكرة ابن ارمانيوس

وضع عازار ارمانيوس

طُبع بالمطبعة المصريَّة الاهليَّة بالقاهرة سنة ١٩٢٢ (ص ٣٦٠)

ذكرنا سابقاً في المشرق (١٨ [١٩٢٠] : ٩٥٦) كتابهُ المذكّرة اللغويَّة في اللغات العربيَّة والفرنسيَّة والانجليزيَّة . وهذا كتابٌ اعظم نفعاً واعمّ فائدةً عمد فيهِ المؤلف الى اسماء المواليد الثلثة من جماد ونبات وحيوان فذكر اسماءها وشرحها شرحاً مرضياً من الوجه العلمي والطبي والاقراباذيني . وقد ترجم الاسماء العربيَّة الى اللغتين الانكليزيَّة والفرنسويَّة مع ذكر الاسماء العلميَّة في اللاتينيَّة واضاف الى ذلك فهارس مختلفة تسهيلاً لمراجعة المفردات في مظانّها . والكتاب مفيد خصوصاً للاطباء واصحاب الصيدليّات يُباع في مكتبة جناب الاديب يوسف افندي اليان سركيس. وثمنهُ ٧٠ غرشاً سورياً ل . ش

شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون

طُبع بمصر على نفقة الشيخ محي الدين صبري الكردي سنة ١٣٤٠ (ص ٣٢٠)

هذا الكتاب كان عُني بنشرهِ في ليدن سنة ١٨٤٦ العلّامة الهولندي دوزي

(R. P. A. Dozy) فراجعهُ على عدَّة نسخ وذيَّلهُ برواياتها وقدَّم عليهِ المقدَّمات المفيدة الواسعة وختمهُ بالفهارس المتعة . واذ رأى جناب الاديب يوسف افندي اليان سركيس انَّ الكتاب قد نفد ولم يزل الادباء يطلبونهُ احبَّ ان يجدّد طبعهُ الَّا انَّ الاشتغال حالت دون رغبتهِ فناب عنهُ الشيخ محيي الدين صبري الكردي فاهتمَّ بتجديد طبعه وقابلهُ على نسخة خطّيَّة قديمة وقف عليها في تونس في آخرها تذييل على قصيدة ابن عبدون وهي قصيدة من البحر والروي لاسمعيل بن احمد بن الاثير الحلبي . والكتاب يباع في مكتبة الاديب يوسف افندي اليان سركيس في بيروت بعشرة فرنكات او ٤٠ غرشاً سورياً ل . ش

هدايا أُرسلت الى المشرق

١ — النشرة الخامسة من ردّ الثلثة والاربعين سهم في نحر البراموسي المليل بالجدال والوهم — قد سبق لنا وصف النشرات الاولى من هذا الردّ (ص ١٥٦) الذي ألَّفهُ المسيو فرنسيس قزمان وكيل عام لاسقفيَّة نيقيا للاقباط الكاثوليك . وهذا الكرَّاس اشبه باخوتهِ السابقين من حيث الايضاح وسداد البراهين التي تنسف كل اعتراضات البراموسي على الكنيسة الكاثوليكيَّة . طُبع في مصر سنة ١٩٢١ (ص ٦٣)

٢ — الخوريَّة الميتة الصالحة — هو ابتهال الى يسوع المتألم وامهِ الحزينة وصلوات لنيل الميتة الصالحة . طُبع في بيروت بالمطبعة الكاثوليكيَّة سنة ١٩٢١ (ص ١٦)

٣ — ما هي شركة رسالة الصلاة — لاحد الآباء اليسوعيين . اوضح فيها انتشارها الحاضر ومنزلتها لدى الكنيسة ثمَّ غايتها ومنفعتها ثم واجبات اعضائها ثمَّ كيفية الدخول فيها وترتيبها في الرعايا والمدارس ثمَّ منافعها الروحيَّة . طُبع في المطبعة الكاثوليكيَّة سنة ١٩٢٢ (ص ١٣)

٤ — برنامج المدرسة السوريَّة الاهليَّة ١٩٢١-١٩٢٢ — طُبع في بيروت في المطبعة الادبيَّة سنة ١٩٢١ (ص ٣٠)

٥ — بيان مدرسة الفنون في صيداء — طُبع في صيداء في مطبعة العرفان سنة ١٩٢٢ (ص ٣٩)

٦ — قانون الجمعيَّة الخيريَّة العامليَّة — المؤسسة في صيداء في آذار سنة ١٩٢٢ (ص ١٥) طُبع فيها ايضاً

شذرات

﴿شكر﴾ ارسل الينا من الماغوسة (قبرس) حضرة القس الياس الخوري ترجمة حياة الطيّب الاثر الاب مبارك المتيني . فنشكر لحضرته همّته ونستميح منهُ عذراً لعدم نشرها بعد ان نُشرت ترجمة الفقيد الواسعة بقلم حضرة القس بطرس ساره

﴿القديس اغناطيوس شفيع الرياضات الروحيّة﴾ قد جرت العادة في كلّ انحاء المعمور الكاثوليكي ان يعتزل ذوو التُقى من كهنة واكليروس وعالميين مدّة بضعة أيام عن اشغالهم كلّ سنة فيقضون تلك المدّة في تأمّل الحقائق الابديّة وينعشوا قواهم الادبيّة ليُحسنوا خدمة الله والقريب ويقوموا بكلّ واجباتهم الدينيّة والمدنيّة . ودليلهم في تلك الخلوة الروحيّة كتاب رياضات القديس اغناطيوس «الذي ردّ الى الله من النفوس فوق ما يحتويهِ من الحروف » كما شهد عليهِ القديس فرنسيس دي سال . وهذا ما دعا الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر الى ان يجعل القديس اغناطيوس دي لويولا منشئ الرهبانيّة اليسوعيّة شفيعاً خاصاً لكلّ الرياضات التي يمارسها الكاثوليك في العالم وذلك بموجب براءة كتبها في ٢٥ تموز من السنة الحاضرة

﴿حزب المثال﴾ احتجّ حزب المثال على ما كُتب في حقّ رئيسهِ حنّا ابي راشد في الرسالة المصوّرة والبشير والشرق عن سرقاتهِ المختلفة فاردنا ان نعرف ماهو حزب المثال المشار اليهِ فاجاب محاسب هذا الحزب سابقاً الياس افندي رعد في كتاب الى الرسالة المصوّرة نشرتهُ في عددها الخامس «انّ حنّا ابا راشد منذ زمن طويل اخذ يستقلّ بالحزب وباعمالهِ واصبح الحزب هو الخواجا حنا ابو راشد كما انّ الخواجا حنّا هو الحزب » فاستغرقنا بالضحك من احتجاج حزب يتألف من «واحد» ألا وهو صاحبنا اللاسرقيّ القحّ الذي وصفناهُ سابقاً فاختصّ بنفسهِ ما كان يجمعهُ من المال باسم حزبهِ ويستبدّ بهِ ولا عجب اذ كان هو « كلّ الحزب »

﴿المجمع الايسكوبالي العام﴾ هو المجمع البروتستانيّ الذي عُقد في بورتلند في الولايات المتّحدة في ٦ ايلول الماضي . ومن غريب امرهِ انّ عدّة اساقفة من الروم الاورثدكس حضروهُ رسمياً ومشوا في موكبهِ بحللهم الاسقفيّة واشتركوا فيهِ

بالديانات مع الكنيسة البروتستانية وكان في جملتهم مطران بيروت السيد جراسيوس مسرَّة كما انبأت به المدينة وهي اول مرَّة يذكر مثل ذلك للكنيسة الروم الاورثذكسيَّة التي صرَّحت سابقاً أنها لا تعتبر ثبات السلسلة الرسولية في الكنيسة الانكليكانيَّة ومن ثمَّ لا صحَّة لسيامة اساقفتها . وسننتظر نتيجة المؤتمر المذكور لنرى ما ضحَّتهُ الكنيسة الاورثذكسيَّة من مبادئها بحضورها ذاك المجمع الهراطيقيّ كما بيَّنا ذلك في مقالتنا عن الاورثذكسيَّة والانكليكانيَّة

﴿ معهد علميّ جديد ﴾ سرَّنا ما انبأنا به جناب العلاَّمة الاثري المسيو دي لوره (E. de Lorey) انَّ فخامة المفوَّض الاعظم الجنرال غورو اعلن رسمياً بانشاء معهد جديد للآثار الشرقيَّة والصناعة القديمة في دمشق وعهد اليه برئاسته . فنمحض التهانئ للرئيس الجديد ونشكر المفوَّضية العليا على هذه النعمة الجزيلة التي اضافتها الى نعمها السابقة في سبيل آثار بلادنا واستخراج عاديَّاتها الشرقيَّة بعد ان بقيت مطمورة في بطن الارض مدَّة قرون متعدّدة

﴿ متحف الشرق الاسلاميّ في باريس ﴾ كانت مجموعة الآثار الشرقيَّة الاسلاميَّة في باريس الى هذه السنة محصورة في بعض زوايا متحف اللوفر فلا تستلفت اليها الانظار بالنسبة الى عاديَّات الشرق القديم كبابل ونينوى ومصر واليونان . الاَّ انَّ عدد الآثار الشرقيَّة الاسلاميَّة قد نما في هذه السنين الاخيرة نموًّا عظيماً لما اهداهُ الكرام الى ادارة المتحف من مبالغ عظيمة وهدايا اثريَّة جميلة فأفردت حديثاً قاعة كبيرة مقسَّمة الى عدَّة اقسام لتودع فيها تلك الآثار على حسب بلادها وقرونها فهناك المنسوجات الشهيرة والطنافس العجميَّة والاشغال الخشبيَّة والنحاسيَّة والصينيَّة والسُرج المحلاة بالمينا والآنية النفيسة من القاشاني والعاج والخزفيَّات النادرة والرسوم والكتابات العجيبة واشياء أخرى كثيرة تأخذ بالابصار ومنها ما يرقى الى الدول الاسلاميَّة القديمة من العبَّاسيّين والفاطميّين والأيوبيين وغيرهم . وتلك الآثار تبلغ اليوم الوفاً مؤلفة يتقاطر الى درسها محبّو الفنون الجميلة . فهذه مأثرة جديدة لفرنسة أتتها تُعرب عن عطفها نحو الشعوب الاسلاميَّة التي هي تحت حكمها

اسئلة واجوبة

س قرأنا في بعض التعريبات اسم فيلسوف عربيّ يدعى ابن سيبرون فنرجو من حضرتكم ان تفيدونا شيئاً عنهُ وعن زمانهِ (مستفيد)

ابن سيبرون

ج ليس بين فلاسفة العرب احد يُدعى بهذا الاسم وانّما هو تصحيف ابن جبرول ويقال ابن جيرون واسمهُ سليمان اصلهُ من مالقة في الاندلس وكان موسوياً ازهر في القرن الحادي وتوفي سنة ١٠٦٩ او ١٠٧٠م لهُ في العبرانيّة بعض تآليف فلسفيّة اشهرها كتابهُ ينبوع الحياة . والظاهر انّ الكاتب وجد اسمهُ بالفرنسويّة Avencebron فعرّبهُ ابن سيبرون كما عرّب الآخر Saladin سلاديتوس يريد صلاح الدين

س وسأل في عكّا جناب المعلم جبرائيل الخوري أيوب ماذا نعرف عن ابن سباط الذي نقلنا قسماً من تاريخهِ في كتاب تاريخ بيروت (ص ٢٦٠-٢٦٧)

ابن سباط واخباره

ج قد أطلنا البحث عن هذا المؤرخ لنعرف شيئاً من اخبارهِ فكاد يذهب تعبنا سدًى وغاية ما كُتب عنهُ في احد مخطوطات تاريخهِ ما يأتي (ZDMG. XLIX, P. 122)

« في هذه السنة اي ٩٣٦ هـ (١٥٣٠م) اتما (كذا) تاريخ حمزة ابن احمد سباط خادم السيّد عبدالله التنوخي وكانت وفاتهُ في هذه السنة وكان شاعراً فصيحاً ذي (كذا) خطّ مليح ولسان فصيح ولهُ مصنّفات كثيرة وقيل لم كان (كذا) يعرف ابن مَن هو وانّما وجدهُ السيّد ولداً صغيراً فربّاهُ عنده »

امّا تاريخهُ فلم يُطبع على حدة وانّما طُبع مُعظم ما يعرف منهُ في تاريخ الامير حيدر وفي كتابنا تاريخ بيروت

س وعرض علينا من بعشّ حضرة الخوري مشرق خادم القرية سؤالًا في تسديد ديون عُقدت قبل الحرب واختلف الدائن والمديون بعد الحرب بوفائها

تسديد الديون

ج هذا المشكل قد عُرض سابقاً على المشرق فاجبنا عليهِ جواباً واضحاً فليراجع في سنتنا الثامنة عشرة (١٩٢٠) الصفحة ٧٢٠ ل.ش